# النزعة المركزية الغربية في الدراسات الاستشراقية
# دراسة تحليلية نقدية


إعداد الباحثة

**سيلا احمد سالم عسيري**

باحثة دكتوراه بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

كلية الشريعة وأصول الدين

بجامعة الملك خالد ، المملكة العربية السعودية

# النزعة المركزية الغربية في الدراسات الاستشراقية – دراسة تحليلية نقدية

سيلا احمد سالم عسيري
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، كلية الشريعة واصول الدين ، جامعة الملك خالد ، المملكة العربية السعودية .
**البريد الالكتروني :** naseel6661@gmail.com

**المُلَخَّص:**
ناقش البحث مسألة النزعة المركزية الغربية في الدراسات الاستشراقية ،ودراسة هذه المسألة دراسة تحليلية نقدية ، كما ناقش مسألة النزعة المركزية الغربية من حيث تعريفها وبيان ماهيتها ، وقد بين البحث المجالات التي طُبقت فيها النزعة المركزية الغربية في الدراسات الاستشراقية ، سواء في القرآن الكريم وادعاء أنه مقتبس من التوراة والانجيل والديانات السابقة وأنه لا يملك الأصالة في نفسه أو السنة النبوية من حيث تشويهها ، والادعاء بأن الاسلام تركيب ملفق من المسيحية واليهودية والمجوسية ، واستخدام المستشرقين للمنهج النفسي في دراسة السيرة النبوية وعزو نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم الى التخيل الخلاق ، كما تناول البحث نقد المستشرقين في دراستهم للقرآن الكريم أو السنة النبوية ، كما عرض البحث لطريقة تناول المستشرقين للتاريخ الاسلامي ، في محاولتهم تقزيم كل نجاح للدولة الاسلامية منذ بدء ظهورها ، والتركيز على المعارضات والخلافات التي حدثت في التاريخ الاسلامي والاعراض عن دراسة منجزات المسلمين عبر تاريخهم الطويل .
كما تناول البحث نتائج تطبيق المركزية الغربية في الدراسات الاستشراقية وما نتج عنها من تشويه للحضارة الاسلامية والطعن فيها ومحاولة نشر النظرية الاستشراقية القائمة على أن الدين الاسلامي انتشر بالسيف والعنف وأنه دين قائم على اشعال الشهوات ، كما وعرض البحث للآثار السيئة الناتجة عن تطبيق المركزية الغربية في الدراسات الاستشراقية والمتمثلة في تأثر بعض المسلمين بآراء المستشرقين وترديد آراءهم ،وتأييد المستشرقين لمثل هذه الآراء لأنها تعتبر من قبيل مباركة المسلمين أنفسهم لدراسات المستشرقين عن الشرق الاسلامي ، كما ركز البحث على دراسة الاثر السلبي لتطبيق النزعة المركزية في الدراسات الاستشراقية والمتمثل في تعميق أسباب الخلاف بين

الشرق الاسلامي والغرب المسيحي ، وتعميق أسباب الكراهية واقفال اسباب الحوار والتفاهم .

**الكلمات المفتاحية** :الاستشراق ، النزعة المركزية الغربية ، المنهج الفيلولوجي

The Western Central Tendency in Oriental Studies - A Critical Analytical Study

Sila Ahmed Salem Asiri
Department of Contemporary Doctrines and Doctrines, College of Sharia and Fundamentals of Religion, King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: naseel6661@gmail.com

**Abstract** :

The research discussed the issue of Western centralism in Oriental studies, and the study of this issue is an analytical and critical study. It also discussed the issue of Western centralism in terms of its definition and statement of what it is. From the Torah, the Bible, and previous religions, and that he does not have authenticity in himself or the Prophet's Sunnah in terms of distorting it, and claiming that Islam is a fabricated synthesis of Christianity, Judaism, and Magi, and the Orientalists' use of the psychological approach in studying the Prophet's biography and attributing the Prophet's prophethood, may God's prayers and peace be upon him, to creative imagination, as the research dealt with Criticism of the orientalists in their study of the Holy Qur'an or the Sunnah of the Prophet. The research also presented the way the orientalists dealt with Islamic history, in their attempt to dwarf every success of the Islamic state since the beginning of its emergence, and to focus on the oppositions and disagreements that occurred in Islamic

history and turning away from studying the achievements of Muslims throughout their long history.

**Keywords**: Orientalism ، Western centralism ، Philological approach

## مقدمة :-

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الدراسات الاستشراقية تحوي الغث، والسمين من البحوث، والدراسات حول الحضارة الإسلامية، سواء كان ذلك عن النظم، والمؤسسات، أو عن الحياة الفكرية، والعلمية ، ففي الوقت الذي أنصف فيه بعض المستشرقين التراث العربي الإسلامي، وأثره على أوروبا الوسيطة، وفي عصر النهضة بالذات ، حاول البعض التقليل من إنجازات المسلمين العلمية، والحضارية ، في ميدان النظم، وما قدموه للحضارة الإنسانية ، فادعوا أن علماء المسلمين مجرد نقلة، وحفظة لتراث الأقدم منهم ، وإذا كان هناك إضافات جديدة، فهي لا تصل إلى حد الإبداع، والابتكار، ولا تستحق العناية ، فاليونان هم أساتذة الغرب، ولا أثر للمسلمين في أوروبا، وليس لديهم أي فضل .

ومن المستشرقين من ذهب إلى أبعد من ذلك، حين ادعى أن العرب المسلمين أتقنوا أصنافًا من المعرفة لا تحتاج إلى المنطق، أو التفكير لأن العربي بطبيعته عاجز عن استخراج، أو استنباط أفكار جديدة، بل إنما يتقنه هو النقل، والتقليد ليس إلا ، فالعربي لا يمكن أن يعرف الفلسفة، أو الطب، أو يكتشف معادلات هندسية، أو حسابية، أو يستنبط أفكارًا كيمائية، أو فيزيائية، بل إنه لا يعرف الشعر القصصي، أو التمثيلي؛ لأن كل ما يتطلب تفكيرًا، أو اختراعًا وابتكارًا ليس من صفات العقل العربي .

لذا فإن هذه المركزية الغربية، والتي تقوم على تجاهل كل " إنتاج معرفي عربي وإسلامي "، والحط من مكانة العرب والمسلمين ، ومحاولة إظهار الحضارة الغربية في موقف "المنافس" للحضارة الإسلامية ، وإذكاء الصراع الفكري بين الحضارتين ، فبعد أن انتهت الحروب الصليبية ، استبدلت بالحروب الفكرية، والتي يقوم " الاستشراق الغربي " بدور القائد فيها ، وهي تقوم على أساس تعميق الخلاف بين الشرق والغرب.

**أولاً : إشكالية البحث:**

تكمن إشكالية البحث في تسليط الضوء على النزعة الغربية في الدراسات الاستشراقية عن العالم الإسلامي، وتاريخه، وحضارته، وثقافته بل ومصادره الدينية التي يُعتمد عليها ،كالقرآن، والسنة، هذه الدراسات، والتي تُظهر بوضوح أثر الصراع العسكري الذي جرى بين الغرب والشرق، والذي لم يستطع الغرب التحرر من آثاره إلى اليوم ، ولكن هذا الصراع تحول إلى نوع من الحركة العلمية، والثقافية، والتي تدعي أن العلم هو سبيلها، وغاياتها، وأن منهجها هي الحيادية، والموضوعية، والإنصاف، وعند النظر الموضوعي في هذه الدراسات، تظهر لنا أيدولوجيات فكرية معادية للعالم الإسلامي، وحضارته ، مما يدعو الباحثين للتساؤل عن : مدى قدرة الغرب على تجاوز الماضي في صراعاته مع الشرق ، وعدم إسقاط أفكاره المسبقة عن العالم الإسلامي في دراساته الاستشراقية ؟

**ثانيًا: أهداف البحث : ويهدف البحث إلى الآتي :**

١–التعرف على الدراسات الاستشراقية عن القرآن الكريم، والسنة النبوية باعتبارهما المصدرين الأساسيين للحضارة الإسلامية .

٢– التعرف على الدراسات الاستشراقية عن التاريخ الإسلامي .

٣–توضيح النزعة المركزية الغربية في الدراسات الاستشراقية عن العالم الإسلامي .

٤– بيان أثر النزعة المركزية في الدراسات الاستشراقية على العالم الإسلامي.

**ثالثًا: الدراسات السابقة :**

يمكن للمتابع الوقوف على الأفكار المطروحة في ثنايا البحث من خلال تتبعه للكتابات، والدراسات المتفرقة بشأنه من خلال كتب الاستشراق، ونقده ،وكتب المستشرقين المطبوعة بلغة المستشرق، أو المترجمة منها ، وهي كتابات كثيرة، ومتفرقة، ومنها :

أولاً : الكتب :–نقد الثقافة الغربية في الاستشراق، والمركزية الأوربية للدكتور عبد الإله بلقزيز، وقد انتهى المؤلف في الكتاب إلى دراسة أهم الأساطير المؤسسة لمفهوم المركزية الأوربية في الغرب ، وكتاب المركزية الغربية إشكالية التكون، والتمركز حول الذات للدكتور عبد الله إبراهيم، وقد انتهى المؤلف إلى تعريف القارئ بأهم الأفكار التي حققت غاية الغرب في تعميق نظريته في المركزية الأوربية،و كتاب إدوارد سعيد من تفكيك المركزية الغربية إلى فضاء الهجنة، والاختلاف للمؤلف محمد الجرطي، وقد انتهى الكتاب إلى تقديم إداورد سعيد كنموذج من نماذج الدراسات الفكرية الناقدة، والمفككة للمركزية الأوربية .

ثانيًا : المقالات :–مقال الاستشراق مجالات عمل لحسان عبدالله ، ومقال المركزية الأوربية بين الفرض والرفض لعدلي الهواري، ومقال نقد كونية المركزية الغربية لشيخاوي لخضر .

وبعد الاطلاع على هذه الكتب، والمقالات ، وجدت أنها تتحدث عن نقد المركزية الغربية بصفة عامة، وسأضيف على ذلك ، نقد المركزية الغربية في تعاملها مع العالم الإسلامي، وعلى وجه التحديد تعاملها مع التراث الإسلامي، ومصادره الدينية، وتاريخه، وحضارته .

**رابعًا: منهج البحث :**

اعتمدت في عرض أفكار البحث ، وتحليلها، ونقدها ، على المنهج الوصفي القائم على التحليل، والتركيب، والاستقراء، والاستنباط، والمنهج النقدي القائم على نقد نظرية المركز الأوربية، ونتائجها على العالم الإسلامي، وتأصيل كل فكرة بعرض الأصول التي بنيت عليها، والمآخذ التي تطرح عليها، وصولاً إلى ما توصلت إليه من استنتاجات في سياقها

**خامسًا : خطة البحث :**

**المبحث الأول : تعريف الاستشراق، والنزعة المركزية الغربية ،،وفيه مطلبان:**

المطلب الأول : تعريف الاستشراق .

المطلب الثاني : تعريف النزعة المركزية الغربية .

**المبحث الثاني : مجالات تطبيق النزعة المركزية الغربية في الدراسات الاستشراقية ،،،وفيه ثلاثة مطالب :**

المطلب الأول : القرآن الكريم .

المطلب الثاني : السنة النبوية .

المطلب الثالث : التاريخ الإسلامي .

**المبحث الثالث : نتائج تطبيق المركزية الغربية في الدراسات الاستشراقية ،وفيه ثلاثة مطالب :**

المطلب الأول : تشويه الحضارة الإسلامية، والطعن فيها .

المطلب الثاني : تأثر بعض المسلمين بالمركزية الغربية .

المطلب الثالث : تعميق الخلاف بين الشرق الإسلامي، والغرب .

# المبحث الأول : تعريف الاستشراق، والنزعة المركزية الغربية .

وفيه مطلبان :

## المطلب الأول : تعريف الاستشراق .

إن مفهوم الاستشراق Orientalism يعني معرفة الشرق، ودراسته [١]، غير أن البعض يشير إلى أن هذا المصطلح الجغرافي، والفلكي قاصر عن إعطاء معنى حقيقي لمفهوم الاستشراق " إذ إن لكلمة الاستشراق " مدلولاً معنوياً، إذ إن البحث اللغوي الأصلي لكلمة (Orient) في اللغات الأوربية الثلاث ، المستمد من الأصل اللاتيني ، يوضح أن معناها يتمركز حول طلب العلم، والمعرفة، والإرشاد، والتوجيه ،فاستخدام كلمة بهذه الدلالة اسماً لعلوم تبحث في منطقة معينة، تعني اعترافاً بأن العلم، والمعرفة، والإرشاد كان يُطلب من هذه المنطقة ، وأن وصفها بالشرق يعني بالمقام الأول أنها المنطقة التي أشرقت فيها شمس المعرفة ، وليست الشمس بمعناها الحسي المعروف ،وارتباط الشرق، والشروق بالعلم نجده كذلك في مصطلحاتنا العلمية، فيما عُرف عن المتصوفة بالإشراق الذي تأسست عليه نظريتهم في المعرفة ، فهي معرفة إشراقية تفيض على الإنسان من مصدرها الإلهي، غير أن مصطلح الاستشراق لا يرجع إلى المتصوفة، أو المعرفة الإشراقية في أصله اللغوي ، لأنه في استخدامه المعاصر، لا يحمل هذا المعنى الروحاني ، بل يدل على علم جاف، يشمل، إلى جانب معرفة تاريخ المتصوفة، وأحوالهم في الشرق، كل عناصر الثقافة الشرقية من علوم، وتاريخ، وعقيدة، وفكر [٢]، وهذا يعني أن مصطلح "الاستشراق " مستمد من المدلول المعنوي لشروق الشمس، التي

(١) محمود حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع ، ، القاهرة،ص٢٤

(٢) السيد محمد الشاهد ، الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين ، مجلة الاجتهاد ، عدد ٢٢ ، ص١٩٦-١٩٩

هي مصدر العلم، وأن صفة مستشرق ينبغي أن تقتصر على من ليس شرقيًا، لأنها تصف حالة طلب لشيء غير متوافر في البيئة التي نشأ فيها الطالب.[١]

لقد ذكر هذا المفهوم عبدالله النعيم في كتابه (الاستشراق في السيرة النبوية ) ، ولعل هذا المفهوم يصدق وصفه على الدراسات الغربية الآتية من الغرب إلى الشرق ، ولكن لا يصدق في وصف الكتابات الشرقية التي تأدلجت بأيدلوجية استشراقية غربية، وتبنت مناهجها ، لذا فإن هذا المفهوم لا يعتبر عاماً في تعريف الاستشراق .

لذا يمكن أن أذكر تعريفًا آخر للاستشراق، وهو " ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته، وأديانه، وآدابه، ولغاته، وثقافته ، مما أسهم في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع بينهما "[٢].

أما بالنسبة لبدايات ظهور الاستشراق ، فيشير حمدي زقزوق إلى أنه يمتد بجذوره إلى ما يقرب من ألف عام مضت، فإن مفهوم " مستشرق " Orientalistلم يظهر في أوربا إلا في نهاية القرن الثامن عشر ، فقد ظهر أولاً في إنجلترا عام ١٧٧٩م، وفي فرنسا في عام ١٧٩٩م، وأدرج مفهوم " الاستشراق " Orientalism في قاموس الاكاديمية الفرنسية .[٣]

---

(١) عبدالله محمد الأمين النعيم ، الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء وات – بروكلمان–فلهاوزن مقارنة بالرؤية الإسلامية ، المعهد العالي للفكر الإسلامي ، ١٩٩٧م، ص١٦

(٢) مانع بن حماد الجهني ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ط٤، ١٤٢٠هـ– ، ج٢ ، ص ٦٧٨

(٣) انظر الفصل الذي كتبه مكسيم رودنسون في :تراث الإسلام –تصنيف شاخت وبوزوروث وترجمة د.محمد زهير السمهوري ، سلسلة عالم المعرفة بالكويت ، ١٩٧٨م، ج١ ، ٧٨، و محمود حمدي الزقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، السابق ، ص٢٧

ولكن المهم هنا ليس هو متى ظهر مفهوم "مستشرق "، أو " استشراق "، وإنما المهم هو متى بدأ الاشتغال بالإسلام، والحضارة الإسلامية، سواء بالقبول، أو الرفض ، وهذا أمر موغل في القدم –كما رأينا – أما المصطلح ذاته، فلا يعني شيئاً أكثر من إقرار أمر واقع .(١)

ولكن الذي ينبغي علينا أن نعرفه هو أن المستشرقين، حسب رأي الدكتور عبد العظيم الديب ، يتوجهون بهذه الأعمال إلى المثقف الغربي، يخافون عليه، ويحصنونه من أن يقع تحت راية الإسلام ديناً، وفكراً، وحضارة، كأن الاستشراق يريد أن يضرب ستاراً كثيفاً من التشويش ، والتشويه بين المثقف الأوربي والإسلام .(٢)

وعلى أية حال، ينبغي أن نعرف أن الدافع لهذه البدايات المبكرة للاستشراق، كان يتمثل في ذلك الصراع الذي دار بين العالمين الإسلامي، والنصراني في الأندلس، وصقلية ، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوروبيين بتعاليم الإسلام، وعاداته ، ولهذا يمكن القول بأن تاريخ الاستشراق في مراحله الأولى، هو تاريخ للصراع بين العالم النصراني الغربي في القرون الوسطى، والشرق الإسلامي على الصعيدين الديني، والأيدولوجي .(٣)

مما سبق يتبين لنا أن الاستشراق : علم قائم على أيدولوجيات غربية ، الهدف منها توجيه المثقف الغربي وفق هذه الأفكار الغربية القائمة على مبدأ الصراع بين الشرق الإسلامي، والغرب المسيحي .

---

(١) محمود حمدي زقزوق ، الاسشتراق والخلفية الفكرية ، السابق، ص٢٧

(٢) عبد العظيم محمود الديب ، المنهج في كتابات الغربيين عن الإسلام ، النادي الشبابي، قطر ، ط١ ، ص٤٧

(٣) C.E.Bosworth:Orientalism and Orientalists (In: Arab Islamic Bibliogrphy)1977Great Britain و محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية ، السابق ، ص٢٨

وللتأكيد على ذلك ينبغي لنا أن ندرس بشكل مفصل ، النزعة المركزية الغربية في الدراسات الاستشراقية، وذلك أنها تعطينا صورة واضحة على مبدأ الصراع الذي أثارته هذه الدراسات الغربية عن الشرق الإسلامي .

لذا سأقوم في هذا المطلب بتعريف المركزية الغربية ، وسأبحث عن تاريخ ظهورها، وهل تزامنت مع ظهور الاستشراق، كعلم موجه للغرب؟ وأتعرف على الأسس التي قامت عليها هذه النظرية ؟ والأهداف التي تسعى إليها ؟

**المطلب الثاني : تعريف النزعة المركزية الغربية .**

يشير الدكتور عبدالله إبراهيم في كتابه " النزعة المركزية الغربية "إلى أنه يتعذر بالضبط تحديد اللحظة التي ولد فيها مفهومان متلازمان (أوربا ) ، و (الغرب ) ، والواقع أنهما من نتائج تلك الحقبة الطويلة، والمتقلبة، والتي يصطلح عليها بـ" العصر الوسيط " التي طورت جملة من العناصر الاجتماعية، والدينية، والسياسية، والثقافية، فاندمجت لتشكل "هوية " أوربا ، وبانتهاء تلك الحقبة ظهر إلى العيان مفهوم الغرب بأبعاده الدلالية الأولية، وسرعان ما رُكب من المفهومين المذكورين مفهوم جديد، هو " أوربا الغربية "، ويبث هذا المفهوم مجموعة من الصفات، والخصائص العرقية، والحضارية، والدينية على أنها تشكل أسس هوية معينة ، وغذى هذا الاختزال ولادة مفهوم حديث ذي طبيعة إشكالية، وهو " المركزية الغربية "، وتتجلى إشكالية هذا المفهوم من أنه تقصّد أن يؤسس وجهة نظر حول " الغرب "، بناء على إعادة إنتاج مكونات تاريخية، توافق رؤيته معتبراً إياها جذوراً خاصة به ، ومستحوذاً في الوقت نفسه على كل الحضارات الأخرى، وقاطعاً سبل التواصل بينه وبين الحضارات التي نشأ في كنفها .[١]

لذا فإن من أبرز الأهداف التي تسعى إليها النظرية الاستشراقية في "مركزية " الغرب، هو إقصاء كل ما هو ليس غربياً، دافعاً به إلى خارج الفُلك التاريخي الذي أصبح " الغرب " مركزه ، ولقد أدى ذلك إلى نوع من التمركز حول الذات بوصفها المرجعية الأساسية لتحديد أهمية كل شيء، وقيمته ، وإحالة الآخر إلى مكون هامشي، لا ينطوي على قيمة في نفسه ، إلا إذا اندرج في إطار المنظور الذي يتصل بتصورات الذات المتمركزة حول نفسها .[٢]

(١) عبدالله إبراهيم ، المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات ، المركز الثقافي العربي ، ط١، ١٩٩٧م ، ص١٣-١٤

(٢) عبد الله إبراهيم ، المركزية الغربية ، السابق ، ص١٤.

لذا يمكن تعريف النزعة المركزية الغربية بأنها : نوع من افتراض غلبة وجهة نظر الذات، وصوابها، بناء على مميزات اعتقد صاحب الفرضية، وجودها في نفسه من عرق، أو دين، أو ثقافة، أو حضارة [١].

لذا ذهب دوفيز[٢] إلى أن أوروبا على الصعيد التاريخي " إبداع من العصر الوسيط"، أما الجغرافيا، فهي مجموعة أراض وردت الإشارة إليها في تضاعيف مدونات سترابون، وبطليموس، وبلين، وغيرهم ، لقد أدى التحدي الديني الخارجي إلى ذوبان التعارض الذي كان قائمًا في بين" أوروبا الرومانية "، و" أوروبا البربرية "، فشد أزرها، فظهرت بوصفها قوة طالعة، وجديدة، ولعل هذا ما جعل "دوفيز " يضع استنتاجه الآتي :( أن أوروبا تتطابق في الهوية أكثر فأكثر مع المسيحية ،إن أوربا هي حامل راية ، وجندي المسيح ، إن التصور الجغرافي لعصر الحملات الصليبية بسيط ، لكنه منطقي " أورشليم مركز العالم "، القدس إذن " سُرة العالم "، والهدف المسيحي في هذه الحقبة يخضع للفرضية الآتية : بما أن أوروبا بلاد المسيحيين، فإن " إفريقيا، وآسيا يجب تنصيرهما " .[٣]

إذن، فالمركزية الغربية تقوم على أساس إقصاء الآخر الذي لا ينتمي إلى العرق الأوربي، أو الديانة المسيحية ليس هذا فحسب ، بل إن هذه المركزية تريد إخضاع الثقافات، والأديان الأخرى لتكون تحت مركزية أوروبا، وسيطرتها التامة ، وهذا الإخضاع للآخر المختلف عن الثقافة الأوربية (المركز) يكون في اتجاهين متقاربين :

---

١ )– المرجع السابق ، ص١٤

(٢) ميشال دوفيز مؤلف كتاب أوروبا والعالم في نهاية القرن الثامن عشر ، والذي تناول فيه تطور البشرية، فتحدث عن تبادل الثقافات المختلفة، وما عليه الحضر والبدائيون من تفاوت، واختلاف في الخلق قام بدور في تلك الثقافات ،neelwafurat.com

(٣) ميشال دوفيز ، أوروبا والعالم في نهاية القرن الثامن عشر، ترجمة إلياس مرقص ، بيروت ، دار الحقيقة ، ١٩٨٠م ، ج١ ، ص١٧،عبدالله إبراهيم ، المركزية الغربية ، السابق ، ص١٤

الاتجاه الأول : السيطرة الاستعمارية : عن طريق الاستيلاء على الشعوب المختلفة ، والسيطرة على خيراتها، وهويتها، وثقافتها .

الاتجاه الثاني : السيطرة الدينية : عن طريق نشر المسيحية في البلاد المستعمرة، وترغيب الشعوب المختلفة عن طريق الهبات، والمساعدات .

ومما ينبغي أن نعرفه أن الاتجاه (الاستعماري) هو الذي مهد الطريق للاتجاه الثاني، وهو (السيطرة الدينية)، فالعلاقة بينهما طردية، فكلما اتسع الاستعمار، كلما انتشرت المسيحية ، والعكس صحيح، فكلما تراجع الاستعمار، كلما تضاءلت جهود نشر المسيحية .

وبهذا يظهر لنا أن نظرية المركزية الغربية ، أقدم من تاريخ ظهور الحركة الاستشراقية، والتي بدأت بوادرها الأولى مع طلائع الحركة الصليبية ،فالمركز الغربي متجذر في العقلية الأوروبية منذ بدايات أوروبا الرومانية، أما الدراسات الاستشراقية، فهي حركة استعمارية في أساسها ، ولكنها لبست ثوب العلم والمعرفة، فأصبحت مدرسة استشراقية ، هذه المدرسة لم تستطع التخلص من الأفكار المتجذرة في العقل الأوروبي الروماني عن مركزيته، وأصالته ، فقامت بنسب علوم الآخرين، وإنجازاتهم إليها ، وما لم تستطع نسبه إليها من إنجازات الآخرين ، فإنها تقوم بتشويهه، ومحاولة الطعن فيه .

كما ويظهر لنا أن أهم الأهداف التي تسعى إليها هذه النظرية في مركزية الغرب، تتمثل في الآتي :

١- اعتبار أن العقل الأوروبي هو العقل الوحيد القادر على الاستنتاج، والاستنباط .
٢- احتقار الآخر المختلف، والنظر إليه نظرة دونية ، فهو لا يرقى إلى المستوى الأوروبي .
٣- السيطرة على إبداعات الآخرين، ونسبتها إلى العقل الأوروبي (المركز ).
٤- التشويه، والطعن في المصادر الدينية للشرق الإسلامي؛ لأنها تخالف معتقدات العقل الأوروبي (المركز ).

## المبحث الثاني :مجالات تطبيق النزعة المركزية الغربية في الدراسات الاستشراقية .

إن نظرية المركز الغربية عند تناولها للدراسات الإسلامية تركز على أبرز المصادر الإسلامية، كالقرآن الكريم، والسنة النبوية ، كما أنها تهتم أيضًا بدراسة التاريخ الاسلامي، باستخدام مناهج عدة، سأذكرها في ثنايا كل مطلب.

فالبنسبة إلى القرآن الكريم، فإن نظرية المركزية الغربية تقوم على أساس محاولة رد النص القرآني إلى مصادر دينية غربية، كالنصرانية، وذلك لغرض نزع الأصالة عن القرآن الكريم، واتهامه بأنه عبارة عن مزيج من الديانات السابقة، ولا يملك أصالة في نفسه .

لذا فإنني سأقوم بالرد على هذه الادعاءات، ونقضها ببيان الاختلافات الموجودة بين القرآن ونصوص التوراة، والإنجيل .

كما سأبين في هذا المبحث طريقة المستشرقين في التعامل مع السنة النبوية ، ومحاولتهم التشكيك في نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وسأقوم بنقد منهجيتهم في التعامل مع سيرة النبي، وخاصة المنهجية الانتقائية ، التي تقوم على انتقاء أحاديث معينة، ثم تفسيرها حسب توجهاتهم الفكرية القائمة على أساس المركزية الغربية .

أما التاريخ الإسلامي، فإنني سأتحدث عن طريقة المستشرقين في محاولتهم تشوية التاريخ الإسلامي، وتجاهل تلك الانتصارات التي سجلها المسلمون، والتركيز على مواطن الاختلاف، والفرقة ، وتجاهل مواطن القوة، والعزة، والإضافات الفكرية، والأخلاقية التي أضافها الفاتحون على أبناء الشعوب التي دخلوا أوطانهم، لذا فإنني سأقوم بنقد تلك المنهجية الغربية في التعامل مع التاريخ الإسلامي، وخاصة منهجية التشكيك .

**المطلب الأول : في القرآن الكريم .**

تتضح نظرية التمركز حول الغرب في دراسات المستشرقين للقرآن الكريم، وذلك برد القصص القرآني مثلاً إلى مصادر دينية غربية (كالنصرانية ) ، وقد نهج المستشرقين في ذلك نهجين :

الأول : رد القصص القرآني بشكل عام لهذه المصادر، دون تحديد موضع، أو نص معين في المصدر النصراني .

والثاني : رد بعض قصص القرآن الكريم إلى هذه المصادر، مع تحديد موضع، أو نص معين منها .[١]

وسأعرض لها، وأقوم بنقدها على النحو التالي :

أ- **النهج الأول** : ففي مقال عن القرآن في موسوعة الوكيبديا الحرة بالعبرية على الإنترنت، فقد أشارت تحت عنوان " القرآن في مقابل الكتب المقدسة اليهودية والنصرانية " إلى أن القرآن يذكر صوراً، وأحداثاً، تم قصها أيضًا في الكتب المقدسة النصرانية ، ففي العهد الجديد يذكر كذلك يوحنا المعمدان ، وعيسى، والحقيقة أن عيسى ذُكر في القرآن عدداً من المرات أكثر من محمد، كما أن مريم أم عيسى، ذُكرت في القرآن عدداً من المرات أكثر من العهد الجديد "[٢]

وأضافت الموسوعة :" أن كل الصور سابقة الذكر عن هذه الشخصيات، تُعرف في الإسلام كأنبياء تواصلوا مع الإله، وحملوا كلماته إلى البشر ، ذلك جنبًا إلى جنب مع عدد كبير من الأنبياء ، لكن ٢٦ نبيًا فقط ذُكروا في

(١) أحمد صلاح الجهني ، القرآن الكريم وعلومه في الموسوعات اليهودية ، مركز تفسير الدراسات القرآنية ، ط١، ٢٠١٥م ، الرياض، ص٧١

(٢) הקוראן/http://he.wikipedia.org/wiki

القرآن، ومحمد هو خاتم الأنبياء ،وليس من المنتظر أن يكون هناك نبي بعده"[١].

كما ذكرت موسوعة الوكيبديا أيضًا :" إن الباحثين في مجال الإسلام يجدون أيضًا التشابه الكبير بين القرآن، والعهد الجديد ، ويجدون تأثيراً يهودياً، ونصرانياً على محمد ، فمن المعروف أن محمدًا اتصل باليهود، والنصارى الذين سكنوا في زمنه في الجزيرة العربية، وبالتالي يمكن أن نجد صدى للتراث اليهودي في التلمود، وكذلك التراث الذي كان بين يدي آباء النصرانية "[٢].

إضافة إلى ما سبق، فإن هناك العديد من الأدلة العلمية، والموضوعية التي تفند فرضية رد القصص القرآني لمصادر يهودية، ونصرانية، ويمكن أن استعرضها على النحو التالي :

**-المصادر اليهودية :**

توجد الكثير من الاختلافات بين القصص في القرآن الكريم، سواء من حيث المفهوم، أو العناصر، أو السمات، فالقصص القرآني إنما هو محاولة للكشف عن أسلوب من أساليب القرآن في تبليغ الرسالة السماوية، وفي لفت العقول، والقلوب إليها ، ليريها الحق مشرقاً لا تملك معه إلا التسليم به، والإذعان له[٣]، فهي تختلف عن العهد القديم، سواء في العناصر، أو الأغراض ، ولذلك يقول عبد الكريم الخطيب في كتابه " القصص القرآني " عن مقاصد القصة في القرآن الكريم :"فهي الدعوة إلى الحق، والهداية إلى مواقع الخير ،وإقامة وجه الإنسانية على مسالك الحق والخير ،والميل بها عن مسالك الضلال ، فليس في القصص القرآني ما ليس في غيره من القصص من تلك المواقف، والصور التي يراد منها استثارة العواطف المريضة ، واسترضاء

(١) المرجع السابق .

(٢) הקוראן-http://he.wikipedia.org/wiki

(٣) عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان، ط٣، ١٩٧٥م ، ص٨

الميول المنحرفة"[١]، كذلك فأهداف القصة القرآنية تختلف عن أهداف القصة التوراتية ، فالقصة القرآنية تهدف إلى أهداف دينية بحتة، وعلى رأسها إثبات الوحي الإلهي، والرسالة الربانية[٢]، أما القصة في التوراة، فتهدف إلى التعليم، والممارسة إضافة إلى الأهداف التربوية، والتعليمية، وإثبات أن حياة الإنسان تسير بين النجاح والخطأ .[٣]

-**المصادر النصرانية** :توجد اختلافات كبيرة بين القصة في القرآن الكريم، والقصة في كل من الأناجيل ، إذ إن هناك اختلافاً من حيث الأنواع، والأغراض، والأهداف ، فالقصة في الأناجيل، إما تاريخية، أو تعليمية، وذلك من حيث " الغرض"، أو "النوع "، فهي تنقسم إلى نوعين " القصة "، و " المثل" .[٤]

ب- **النهج الثاني** :تعرضت الموسوعات اليهودية إلى عدة قصص قرآنية مرجعة إياها إلى مواضع معينة، ونصوص محددة في المصادر اليهودية، والنصرانية ، وهو ما سأتعرض له بالتحليل، والنقد على النحو التالي :

**-قصة المسيح :**

ذكرت الموسوعة اليهودية بالعبرية على الإنترنت [٥] أنه فيما يتعلق بقصة المسيح، فإن القرآن أكثر اعتمادًا على الأناجيل غير القانونية "أبو كريفا العهد

(١) المرجع السابق ، ص١٢

(٢) أحمد علي المجدوب ، أهل الكهف في التوراة والإنجيل والقرآن ، الدار المصرية – اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٨٩، ص٢٣

(٣) سعيد عطية علي مطاوع قصص التوراة في ضوء النقد الأدبي المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٧م ، ص١٢٠*١٢١

(٤) مار بطرس عزيز، أنواع النصوص في الكتاب المقدسة، مكتبة إرسالية مار نرساي الكلدانية ، السويد ، ١٩٩٩م ، و أحمد صلاح الجهني ، القرآن الكريم وعلومه ، السابق ، ص٨٩

(٥) http://www.daat.ac.il/encyclopedia

الجديد "[١] من اعتماده على الأناجيل القانونية [٢]، فعلى سبيل المثال، نجد قصة خلق الطير من الطين، قال تعالى :﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩ ﴾ آل عمران :٤٩

في إنجيل توما ٢/٢ "وصنع يسوع من طين الصلصال اثني عشر عصفورًا، وكان ذلك يوم سبت "[٣]، في البداية نلاحظ أن هناك خطأ في استشهاد الموسوعة اليهودية بالنص الإنجيلي ، فالصحيح هو الإصحاح الرابع من هذا السفر ، وليس الإصحاح الثاني كما ذكرت الموسوعة ،ورغم وجود تشابه بين النص القرآني، وبين نص الإنجيل ، متمثلاً في قدرة المسيح على تشكيل الطير من الطين، والنفخ فيه ليتحول إلى طائر حقيقي ، إلا أننا نلاحظ عددًا من الفروق، والاختلافات الجوهرية بين النصين ، لعل أولها " ذكر النص الإنجيل أن قيام المسيح بهذه المعجزة تخلل يوم السبت، فلامه أبوه على تدنيس السبت، " وفي مقابل ذلك نجد أن النص القرآني الذي استشهدت به الموسوعة اليهودية لم يذكر أي شيء عن يوم السبت، وانتهاك المسيح لحرمته، كما أنه يثار هنا تساؤل منطقي حول إمكان أن يقوم المسيح بمعجزة بأمر من الله في يوم السبت الذي يحرم فيه القيام بأية أعمال، وهو ما يعني مخالفة لشريعة الله المفروضة على بني إسرائيل، والتي كان يتبعها المسيح وفق هذا الإنجيل ! وهذا يطرح تساؤلاً حول منطقية تمكين الله حدوث معجزة

(١) وهي الكتب المسماة بأناجيل الناصريين والأبيونيين والأبيجرافا ومركيون وإنجيل الرب وإنجيل توما ، القمص عبد المسيح بسيط أبو الخير ،أبو كريفا العهد الجديد كيف كتبت ؟ ولماذا رفضتها الكنيسة ؟ ، مطبعة المصريين ، ط١، ٢٠١٤م ، ص٧

(٢) وهي إنجيل متى ، ومرقس، ولوقا ، ويوحنا ويطلق عليها الأناجيل الأربعة .

(٣) نص إنجيل توما ، على الموقع الرسمي لكنيسة الأنبا تكلا هيما نوت القبطية الأرثوذكسية http://st-takla.org/P-1-.html

من خلال عصيان أوامره، ومخالفة شريعته، وانتهاك حرمة يوم السبت، وفق ما ذكره النص الإنجيلي !.[١]

من الواضح أن هذا الفرق بين النصين الإنجيلي والقرآني يعود بالأساس إلى الفرق والاختلاف بين الرؤية القرآنية والإنجيلية حول عيسى عليه السلام ، فعيسى عليه السلام في القرآن الكريم نبي، وواحد من البشر، بل إن القرآن أنكر بشدة تأليه عيسى بأي شكل من الأشكال ، في حين أنه في الإنجيل إله، وهو ما قد يفسر ذلك التناقض في قيامه بمعجزة بشكل يخالف أوامر الإله ،إذ قام بها في يوم السبت المحرم فيه عمل أي شيء ، وهو ما يدل على وجود فارق كبير، ومهم بين النصين: الإنجيلي والقرآني، يتلخص في تكريس النص القرآني لقدرة الله، وقوته، وسيطرته في تنفيذ المعجزة ، في حين أن النص الإنجيلي لا يأبه بذلك [٢].

مما سبق يتضح لنا وجود الاختلاف بين الإنجيل والقرآن في النظرة العامة لرسالة عيسى عليه السلام، ونبوته ، ولكن اشتغال المستشرقين بهذه الفكرة، وهي إرجاع القرآن الكريم إلى تأثيرات يهودية، أو نصرانية، إنما هو نوع من أنواع " المركزية الغربية " القائمة على السيطرة، واستلاب الآخر من ذاتيته، وجعله تابعاً للمركز، وهو " الغرب"، فالآخر بالنسبة لهذه المركزية ليس لديه مقومات حضارية، أو دينية تجعله متميزاً عن الغرب ، فالتميز، والقوة، والسيطرة إنما هي "للغرب"، وإذا كان لدى الآخر مقومات، فإنما هي نتيجة من نتائج تأثره بثروة الغرب الحضارية، والدينية، والثقافية، ولعل هذا يشكل خطراً كبيراً على تمايز، واختلاف البشر، الذي هو سنة من سنن الله في الكون .

(١) أحمد صلاح الجهني ،القرآن الكريم وعلومه في الموسوعات اليهودية ، السابق ، ص١٢٢-١٢٣

(٢) أحمد صلاح الجهني ، القرآن الكريم وعلومه في الموسوعات اليهودية ، السابق، ص١٢٣

**المطلب الثاني : في السنة النبوية .**

لقد بدأت الرؤية الاستشراقية تجاه النبي صلى الله عليه وسلم، ودعوته في التكون منذ احتكاك المسلمين بالمسيحيين في الأندلس ، ثم بدأت هذه الرؤية تتكون عبر العصور، غير أنها كانت تتطور في الشكل دون المضمون ، وهذه الرؤية في الأساس سلبية، وعدائية ، وتكاد الرؤى الاستشراقية على مر العصور تتفق على أن الإسلام تركيب ملفق من المسيحية واليهودية والمجوسية ، هذا إذا كان المستشرق يظهر الحياد، والنزاهة العلمية، أمثال وات(١)، وبروكلمان (٢).

أما إذا انساق المستشرق وراء عواطفه، أو المؤثرات الضاغطة على وعيه ، فإنه حينها لا يكتب دراسة علمية جادة عن الإسلام ، فالمستشرق "وات " يعزو نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى التخيل الخلاق ،أي أن النبوة ليست اصطفاء من الله سبحانه وتعالى لمحمد لأداء رسالته، وإنما هي من إبداع عقلية محمد ، ولكي تكتمل الرؤية، فإن " وات " استبعد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل على أساس أنها " لا يمكن أن تكون تاريخية "(٣) ،كما يتشكك "وات " في أمر الوحي ذاته " لقد تملكت محمد منذ وقت مبكر أن الكلمات التي تصل اليه هي وحي من الله، مهما كانت الصورة الدقيقة

(١) مونتجمري وات : Montgomery,Watt (ت ٢٠٠٦م ) عميد قسم الدراسات العربية بجامعة أدنبرا من أهم آثاره : عوامل انتشار الإسلام ، و محمد في مكة ، نجيب العقيقي، المستشرقون موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ج٢، ص٥٥٤

(٢) كارل بروكلمان : G Brockelmmann(ت ١٩٥٦م )ولد في رستورك وتخرج باللغات السامية على أعلام المستشرقين، ومنهم نولدكه ،وطارت له شهرة في فقه العربية وقراءتها قراءة فصيحة وكتابتها كتابة سليمة ، عين استاذا في جامعة برسلاو م أهم آثاره : العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وبين كتاب أخبار الرسل والملوك لابن جرير الطبري وهي رسالة دكتوراه ، نجيب العقيقي ، المستشرقون ، السابق ، ج٢ ، ص ٧٧٨ ، و محمد إبراهيم الفيومي ، الاستشراق رسالة الاستعمار تطور الصراع الغربي مع الإسلام ، دار الفكر الغربي ، ١٩٩٣م ، ص٣٣٧-٣٥٩ باختصار

(٣) عبد الله النعيم ، المستشرقون والسيرة النبوية ، السابق ، ص٧٠

لتجربته الأولى في تلقي الوحي، وقد ظهر الإيمان بذلك منذ البداية في دعوته العامة "[١].

وينظر بروكلمان إلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم نظرة عادية مجردة من بعدها الديني " لقد تحققت عنده أن عقيدة مواطنيه الوثنيين فارغة، فكان يعتمل في نفسه هذا السؤال : إلى متى يمدهم الله في ظلالهم مادام هو عز وجل قد تجلى آخر الأمر للشعوب الأخرى بواسطة أنبيائه؟ وهكذا نضجت في نفسه الفكرة أنه مدعو إلى أداء رسالة النبوة ، وتجلى له طائف هو الملك جبريل على ما تمثله محمد فيما بعد ، فأوحى إليه أن الله قد اختاره لهداية الأمة ، وتكرر مناداة الصوت الإلهي له، ولم تكد هذه الحالات تنقضي حتى أعلن ما ظن أنه قد سمعه " What he thought he had hear " كوحي من عند الله "[٢].

**نقد المستشرقين في منهجية تعاملهم مع السيرة النبوية .**

إن مأزق " وات " يرجع إلى المنهج الانتقائي[٣] الذي يتبعه في دراسة السيرة، فهو حينما يدعي أن النبي لم ير الملك نفسه لإثبات أن الوحي انبثق من لا شعور النبي صلى الله عليه وسلم، وعقله، فإنه يعتمد على حديث الزهري الذي أورده عن عائشة :" كان أول ما بُدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة، حتى فاجئه الحق في غار حراء "[٤]، ثم مرة أخرى ينتقي حديث " نظرت عن يميني فلم أر شيئًا ، وعن شمالي فلم أر شيئًا ، فرفعت رأسي فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض "[٥]، ثم يقوم "وات " بتحريفه إلى I heard vois

(١) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٢) عبد الله النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية، السابق، ص ٧٠.

(٣) المنهج الانتقائي: هو عبارة عن انتقاء بعض الأحداث والقضايا، والكتابة عنها، وإهمال غيرها، والتشكيك في أمور مسلمة من التاريخ الإسلامي ، أمجاد الربيعة ، مناهج المستشرقين في دراسة الإسلامestshrac.blogspot.com

(٤) صحيح البخاري، المحقق : مصطفى البغا ، دار ابن كثير ، دار اليمامة ، دمشق ، ط٥ ، ١٩٩٣م ، كتاب التعبير ، باب أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصالحة ، ج٦ ، ص٢٥٦١

(٥) البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ، ج١ ، ص٥

calling me,and I looked all a round but could see no one,then I looked above my head and there he was sitting upon throne"[١]

أما في القرآن الكريم، فالآيات واضحة، ودالة على أن الوحي من الله، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ ﴿١٩﴾ ﴾ سورة الأنعام ، ولئن دل هذا العنت من المشركين على شيء، فإنما يدل على عدم قدرتهم على الطعن في الدين، فقد رأوا دينًا بلغ غاية السمو مع بساطة ويسر، هما مصدر قوته ، فلجؤوا إلى حجة العاجز حين يدع الأثر العظيم، لأن المطاعن لا ترقى إليه ، فهو يتناول من صدر عنه هذا الأثر ، وهذا عجز مناف للطبيعة الإنسانية ، ففي طبيعة الإنسان أن يستمتع بالآثار لذاتها، وبثمراتها دون بحث لا طائل تحته في مصدرها، ووسيلة حدوثها، ونموها[٢]، لقد تحدثت عن " المركزية الغربية " التي ترى علوم ومعارف الآخرين، إنما هي نابعة بالأساس من علوم الغرب، ومعرفته ، وعندما عجزت عن إثبات ذلك ، بدأت في استخدام أساليب، ومناهج منافية للأساليب العلمية السليمة ، كالتشكيك ، والتزوير ،والاتهام ، لغرض تحجيم الآخر، وتصغيره ،وإعدام مقوماته الحضارية المتميزة ، لأجل إضعاف ثقته بنفسه ، لضمان عدم قدرته على أن يكون نداً للمركزية الغربية.

**المطلب الثالث : في التاريخ الإسلامي .**

لقد تميز التاريخ الإسلامي ، بوصف التاريخ المبكر لظهور الإسلام، وانتشاره في أنحاء العالم بالعدل، والإحسان ، إلا أن المستشرقين في تناولهم للتاريخ الإسلامي لا يقعون إلا على ما يتلاءم ونظرتهم إلى الإسلام، هذه النظرة المستقاة من أفكار القرون الوسطى .

فالنبي صلى الله عليه وسلم لما قدم إلى المدينة " يثرب " بدأ في تأسيس الدولة ، فشرع في بناء المسجد باعتباره بؤرة الإشعاع الديني، والسياسي، والثقافي، والاجتماعي ، ثم شرع عليه السلام في المؤاخاة بين المهاجرين

(١) عبد الله النعيم ، الاستشراق في السيرة النبوية ، السابق، ص٧٠

(٢) محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، هنداوي ، ط٢ ، ص٦٠-٦١

والأنصار ، إذ إن للمؤاخاة أهميتها في إحداث الاستقرار في بنية الدولة ، ومما لا شك فيه أن التماسك الاجتماعي بين أفراد المجتمع يعتبر من مقومات نجاح الدولة، وازدهارها ، ثم أن النبي كتب بين المهاجرين والأنصار كتابًا وادع فيه اليهود ، وهو ما يعرف حديثًا بدستور الدولة المدنية .(١)

فيتحدث "وات " عن المؤاخاة ، ليس باعتبارها "دستور دولة مدنية "، ولكن يركز في حديثه عن المعارضة التي لقيتها سياسة النبي في المدينة :" كان هناك مواضيع أخرى لنشوء الأزمة في المدينة، لا سيما المشاكل التي نشأت بين المهاجرين والأنصار ، وبين الأوس والخزرج ، ولكن المصادر تمدنا بالقليل من المعلومات بهذا الصدد في الفترة التي عاش فيها محمد ، وكانت لا تظهر في بعض الأحيان إلا بعد سنوات عديدة " (٢)

وللتدليل على وجود الخلافات بين المهاجرين والأنصار، فإنه يستشهد بأنه " لم يظهر الصداقة لكعب بن مالك من المهاجرين سوى طلحة ،والزبير " Of the Emigrants only Talhah and Az zubayr showed friendship to Ka,ab ibn Malik"(٣)

إن عدم إظهار المهاجرين الصداقة لكعب بن مالك، لا تعتبر دليلاً على وجود خلاف بين المهاجرين والأنصار ، إذ إن هذه الواقعة ارتبطت بموقف ، وهو أن كعباً كان أحد الثلاثة المتخلفين (٤) عن غزوة تبوك، وبدون عذر يبرر تخلفهم ،فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بمقاطعتهم حتى تاب الله عليهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ التوبة:

(١) عبد الله النعيم ، الاستشراق في السيرة النبوية ، السابق ، ص١٠٩

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٤) وهم كعب بن مالك من بني سلمة ، ومرارة بن الربيع العمري من بني عمرو بن عوف وهلال بن أمية الواقفي ،ابن هشام ، السيرة النبوية ، علق عليها عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتب العربي ،١٩٩٠م، ط٣ ، ج٤، ص١٨٩-١٩٠

لم تكن مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة هي الشيء الوحيد الذي لم يروق "للمستشرقين "، كذلك فإن دستور المدينة لم يخلُ من توجيه النقد الشديد إليه ، وتتلخص رؤية "وات " في النقاط التالية:

١- اعتبار هذه الوثيقة على العموم صحيحة ، ولم يكن في إمكان أي مزور في العصر الأموي، أو العباسي أن يضم غير المسلمين إلى الأمة الإسلامية ، أو يحتفظ ببنود ضد قريش ، ويجعل لمحمد هذه المكانة المتواضعة ، كما أن أسلوب الوثيقة قديم ، غير أن النقاش جرى حول تاريخ الوثيقة، وهل يجب تأريخها قبل بدر أم بعدها ؟[١]
٢- إن ابن اسحاق لا يذكر شيئًا عن الطريقة التي وصلت بها الوثيقة إليه ، ولا متى، وكيف طبق هذا الدستور ؟ أما وضع الوثيقة في مطلع حديثه عن فترة المدينة، فليس له من سبب سوى التسلسل المنطقي .[٢]
٣- إن الوثيقة تحتوي على بنود كتبت في وقتين مختلفين، أو أوقات مختلفة، وذلك لوجود فروق لغوية ، وبعض البنود تكرار لبنود أخرى، وتعالج نفس المسائل
٤- افتراض أن البنود ١٥، ١٦، ١٩، ٢٣[٣]

إننا نلاحظ أن "وات " في النقطة الأولى أكد على صحة الوثيقة، ولكن في النقطة الثانية شكك في صحة الوثيقة ، وحينما يفترض "وات " أن بعض بنود الوثيقة قد كتبت أثناء العقبة ، فإنه يفترض بغير دليل، أو سند، إذ من المعروف تاريخياً أن اتفاقيات العقبة كانت عبارة عن بيعتين ، في

(١) عبد الله النعيم ، الاستشراق في السيرة النبوية ، السابق ، ص١٠٩
(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٣) ويقصد بذلك :" إن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ، وإن من تبعنا من يهود فإن له النصر، غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وإن المؤمنين يبيئ بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده الى الله وإلى محمد، عبد الله النعيم ، الاستشراق في السيرة النبوية ، السابق ، ص١٠٩

العقبة الأولى بايع الأنصار بيعة النساء، وفي العقبة الثانية بيعة الحرب ، فإذا قبلنا افتراض "وات " بأن البنود ١٥، ١٦ ، ١٩ ، ٢٣ تمثل اتفاقًا بين النبي وقبائل المدينة، تم توقيعه في العقبة، فإن هذه البنود بعد تحليلها لا تدعم افتراضه ، فالبند ١٥ يتحدث عن إجارة المؤمن في الوقت الذي لم يكن معترفًا فيه بين المسلمين، لا في مكة، ولا المدينة ، ويتحدث البند ١٦ عن كيف يكون لليهود النصر، والأسوة، والنبي صلى الله عليه وسلم، والجماعة المسلمة كانوا يعانون من حالة الاستضعاف في مكة ؟ ثم حينما يذكر " غير مظلومين "فإن هذا يؤكد أن النبي في حالة " سيادة "، بحيث يضمن عدم وقوع الظلم عليهم ، وحالة السيادة لا تكون إلا في ظل وجود " دولة " ، أما البند ٢٣، فإنه يتحدث عن المرجعية الدينية، والسياسية، وهذه المرجعية لم تتأكد إلا في المدينة بعد تأسيس الدولة ،وهكذا فإن افتراضات "وات" لا تثبت أمام النقد، والتحليل .[١] إن "وات " حينما يثير هذا الغبار الكثيف والشكوك حول الوقت الذي كتبت فيه بنود الدستور ، إنما يفعل ذلك من أجل استبعاد القبائل اليهودية الكبرى " بني قينقاع ، بني النضير ، بني قريظة " من مشاركتها مع الأمة الإسلامية[٢]، وبهذا يمكننا أن نقف على أحد أهم أساليب المستشرقين ، أو دراسي الشرق من الغربيين، وهذا الأسلوب يتضح في محاولة إثارة الشكوك، والشبه حول منجزات الحضارة الإسلامية، وإظهارها في ثوب الضعف، والهوان ، وعدم القدرة على مواجهة التحديات ، وبالتالي عدم صلاحيتها للتطبيق في ذلك الوقت ، وفي كل زمان .

**لذا سألخص الهدف من هذا التشكيك في الآتي :-**

١- تحجيم منجزات الحضارة الإسلامية منذ نشوئها .
٢- إثبات عدم قدرة الإسلام على معالجة تحديات ذلك العصر .

(١) عبد النعيم ، الاستشراق والسيرة النبوية ، السابق، ص١١٣-١١٥ باختصار
(٢) المرجع السابق ، ص١١٥

٣- إثبات أن الحضارة الغربية هي البديل الأنسب لقيادة العالم، ومعالجة التحديات، والعقبات التي تواجه الحضارات البشرية، وهي في طريقها للسيطرة .

٤- إثبات قدرة الحضارة الغربية على أن تكون المركز، والقطب الذي يجب أن يتوجه إليه الآخرون .

والحضارة الغربية عندما نسبت علوم المسلمين إليها ، فذلك لأنها اعترفت بالعلم، والمعرفة، فرأت أن تجعل شرعية هذه العلوم بأن تجعلها هي المصدر لها ، وذات الشيء فعلته مع رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، فإنها مستقاة من النصرانية، واليهودية ، وأما التاريخ الإسلامي، فهو مشوه، ومشكوك فيه، ولعلنا نساءل المستشرقين : إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد تأثر بالنصرانية واليهودية، كما تزعمون ، فلماذا تشككون بتاريخه ؟ أم أن المستشرقين ينسبون تأثر النبي بالنصرانية في الأصل، ويطربون لذلك ، ولكن عندما يأتي الحديث عن تاريخ الإسلام، وطريقة النبي في نشره، نراهم يبدؤون بالتشكيك، والتشويه ، مما يدل على ترسب الخوف في نفوسهم، وعقولهم من سيادة الدين الإسلامي ، ورغبتهم في جعله دينًا تابعًا للمسيحية، غير مستقل بنفسه ، وتحجيمه في هذا الإطار الضيق .

## المبحث الثالث : نتائج تطبيق المركزية الغربية في الدراسات الاستشراقية .

لعلنا نلاحظ أن المستشرقين، ونتيجة "للمركزية " المتعمقة، والمتجذرة في عقولهم، لم يكونوا ينظرون إلى الدين الإسلامي ، كدين مستقل، قائم على أسس ثابتة، ومتينة ، قام ببناء حضارة عالمية ، واستطاع أن يستقطب الناس للدخول في الدين الجديد بقلوب مقبلة، ومطمئنة إليه ، فالقرآن الكريم بالنسبة للمستشرقين نسخة مشوهة من الإنجيل، والتوراة، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وسنته تمثل في كثير من أحوالها شيئاً من اليهودية، والنصرانية ، أما التاريخ الإسلامي، فنظروا إليه بنظرة مختلفة ، فليس هو ضمن إطار اليهودية، والمسيحية، بل إنه في كثير من ايجابياته مثار شك، وتشويه من قبل المستشرقين ، فعندما وجدوا أنه لا يمكنهم الثناء على تلك المميزات لذلك التاريخ ، فليس ثمة أسلوب آخر يمكن استخدامه سوى "تشويه " ذلك التاريخ، وإظهاره للآخرين، كما لو أنه أمر عادي، لا يستدعي الانتباه، والإشادة .

إن هذه المركزية القائمة على القطب الواحد ، نتج عنها سلبيات أدت إلى تعميق الخلاف بين الشرق الإسلامي والغرب ، وزيادة الفجوة، والهوة بين العالمين المتضادين ، فلم تسهم هذا الكتابات في تقريب وجهات النظر ، والتي نحن في أمس الحاجة إليها اليوم .

إلا أن أكبر سلبيات الدراسات الاستشراقية غير المنصفة في دراسة الحضارة الإسلامية تتمثل في التشوية، والطعن في الحضارة الإسلامية ، والكيل بمكيالين عند الحديث عنها، خدمة لأيدولوجيات الاستعمار الغربي ، مما يجعلنا نتساءل عن المنهجيات العلمية في الكتابات الاستشراقية، ومدى اتسامها بالإنصاف، والموضوعية ، ومحاولة المستشرق إبعاد أفكاره المسبقة عن دراساته حول العالم الإسلامي ؟ .

كذلك، فإنه ينبغي أن لا نغفل عن سلبية أخرى من سلبيات الكتابات الاستشراقية ، إذ إنه نتج عن كثرة الحديث حول مصدرية الثقافة الغربية،

ومركزيتها، وأهليتها مقارنة بالثقافة الإسلامية إلى تأثر بعض المسلمين بهذه الكتابات ، ليصبحوا مدافعين عن كتابات المستشرقين ، ومتبنين لأيدولوجياتهم الفكرية .

**المطلب الأول : تشوية الحضارة الإسلامية والطعن فيها .**

يشير الفيومي في كتابه " الاستشراق رسالة الاستعمار " إلى أن الشرق بحضارته، وثقافته يعتبر بالنسبة إلى الغرب مجرد امتداد له، وتابعًا له، ومسرحًا لسيطرته ، وظل هذا الفهم قائمًا حتى القرن التاسع عشر ، من حيث إن الشرق الإسلامي، والعربي هو المنطقة الوحيدة التي كانت تمثل تحديًا سافرًا لأوروبا ، سواء في المجالات الثقافية، أو السياسية ، بل حتى في فترة من الفترات في المجال الاقتصادي .(١)

لهذا كان الاستشراق يتميز خلال مرحلة طويلة من حياته بهذا الموقف العدائي المعادي للإسلام، والمناوئ للثقافة العربية الإسلامية ، لأن الإسلام يهدد أوربا المسيحية حتى عام ١٥٧١م، وقد أفلح خلال ذلك أن يزيح سلطان روما نفسها، ويزلزله ، وهو أمر لا يمكن لأي أوربي أن ينساه، أو يتناساه، وهذا الموقف يثيره الاستشراق دائمًا في كتاباته ، فيحرك في الأعماق كثيرًا من الآلام في نفوس الأوربيين .(٢)

وقد تعرض رودي بارت في كتابه "الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، والمستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه " لهذا السؤال، وهو مدى تقبل أهل الشرق لدراسات المستشرقين ؟ والرأي عند "بارت " أن دراسات المستشرقين تُقابل بالشك، والريبة من عامة أهل الشرق ، واستشهد بكتاب صغير للدكتور محمد البهي بعنوان " المبشرون

(١) محمد إبراهيم الفيومي ، الاستشراق رسالة الاستعمار تطور الصراع الغربي مع الإسلام ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص ١٨٧

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

والمستشرقون، ومواقفهم من الإسلام " والحقيقة أن الاستشراق ارتبط منذ بدايته ،كما يقرر الأستاذ يوهمان فوك، في كتابه المشار إليه بالحركة الصليبية، وأن المستشرقين الأول كانوا يعتبرون عملهم نوعًا من الكفاح ضد الإسلام، والعروبة ، كذلك ارتبط الاستشراق في أوقات بعينها ، كما يشهد على ذلك رودي نفسه ، بالاستعمار، ولهذا فلا ينبغي أن يكون من المستغرب أن يكون بين المسلمين، والعرب اتجاه يقوم على الارتياب، والتشكك في نوايا المستشرقين .[١]

ويرى بارت :" إن موقف الغرب المسيحي في العصر الوسيط من الإسلام، هو موقف الدفع، والمشاحنة فحسب "[٢]، هذا الموقف الكاره، والمشوه للإسلام، ليس نتيجة لقلة المصادر التي تعينهم على معرفتهم للإسلام ، فلقد عرفوه من مصادره الأولى ، وإنما الحقيقة أن العلماء، ورجال اللاهوت في العصر الوسيط، كانوا يتصلون بالمصادر الأولى في تعرفهم على الإسلام ، وكانوا يتصلون بها على حب كبير ، ولكن كل محاولة لتقويم هذه المصادر على نحو موضوعي ،كانت تصطدم بحكم سابق يتمثل في أن هذا الدين المعادي للمسيحية، لا يمكن أن يكون فيه خير ، وهكذا كان الغرب يتلقفون الأخبار التي تلوح لهم مسيئة إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإلى دين الإسلام [٣].

نستطيع القول ، اليوم أكثر من أي وقت مضى، بأن الغرب يمتلك حول الإسلام معلومات هائلة من مصادر مختلفة، وذات نوعية شديدة التنوع ، لكنه إذا ما أتينا إلى الواقع التطبيقي، فإنه يمتلك معرفة جد محدودة ، لذا ازدهرت الاستشهادات الزائفة بالقرآن، والسنة في الصحافة اليومية ، وشُوهت هذه الاستشهادات، أو بكل بساطة، اخُترعت لدرجة أنها لم تعد

(١) محمد إبراهيم الفيومي ، الاستشراق رسالة الاستعمار، السابق ، ص١٨٨

(٢) رودي بارت ، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية المستشرقون الألمان منذ تيزدر نولدكة ، ترجمة مصطفى ماهر ، ٢٠١١م ،ص١٥

(٣) رودي بارت ، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ، السابق ، ص١٠

قادرة على إزعاج المسلمين الذين يعيشون في الغرب، لكنها تعطي للرأي العام صورة عن الإسلام منحرفة كلياً .[١]

يمكننا تحديد نقاط التشويه للإسلام في الأمور الآتية :-

١-**المسلمون والحضارة** : يمكن أن نستنبط تلك النظرة الغربية المشوهة إلى الإسلام، والنظر إليه كدخيل على الحضارة الأوربية من خلال حديث مونتجمري وات، إذ يقول :- "إني لن أنظر إلى المسلمين باعتبارهم دخلاء بين العديد من الدخلاء على القارة الأوربية ، وإنما باعتبارهم ممثلين لحضارة ذات إنجازات على رقعة أرض مجاورة " [٢].

لذلك فإننا نجد أن بعض المستشرقين يؤكدون النظرة الغربية إلى الإسلام، وحضارته فيقول :" قد أدرك الناس منذ زمن أن الكتاب المسيحيين في العصر الوسيط، خلقوا صورة للإسلام هي صورة مشوهة من وجوه عديدة ، غير أن وجود الباحثين خلال القرن الأخير، قد مهد السبيل من أجل تكوين صورة أكثر موضوعية له في عقول الغربيين " ثم يقول :" ومع ذلك، فإننا معشر الأوربيين، نأبى في عناد أن نقر بفضل الإسلام الحضاري علينا ، ونميل إلى التهوين من قدر، وأهمية التأثير الإسلامي في تراثنا ، بل ونتجاهل هذا التأثير تجاهلاً تامًا ، والواجب علينا من أجل إرساء دعائم علاقات أفضل مع العرب، والمسلمين ، وأن نعترف اعترافًا كاملاً بهذا الفضل ، أما إنكار معالمه، فلا يدل إلا على كبرياء زائف"[٣].

أما بالنسبة إلى غزو المسلمين لإسبانيا ، فإن الغرب ينظرون إلى الفتح الإسلامي باعتباره غزواً " همجيًا "، فالعرب ،وحلفاؤهم من البربر، لم يكونوا وقت الفتح على مستوى حضاري أعلى من مستوى الغزاة الآخرين

(١)محمد الفيومي ، الاستشراق رسالة الاستعمار ، السابّق، ص١٩٠

(٢) مونتجمري وات ، فضل الإسلام على الحضارة الغربية ،ترجمة حسين أحمد أمين ، مكتبة مدبولي ، ميدان طلعت حرب ، ط١، ١٩٨٣م ، ص٧

(٣) مونتجمري وات ، فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، السابق ، ص٨

، فالعرب كانوا شعباً بدائياً نسبياً، ليس في حوزته غير القليل من الممتلكات المادية، ولا تزيد ثروته الأدبية عن إنجازات في ميداني الشعر والخطابة ، بالإضافة إلى القرآن ، كتاب المسلمين المقدس الذي يوقرونه باعتباره كلام الله ، الذي أوحى به إلى محمد ليبلغه قومه ، ولم يكن المستوى الثقافي للعرب قد نما بدرجة كبيرة وقت فتحهم لإسبانيا ،في حين أن مستوى البربر العديدين في جيوش المسلمين على الأرجح أقل شأنًا.(١)

فالعرب –حسب رأي المستشرقين – في فتوحاتهم للبلاد الأخرى ، قد فرضوا لغتهم، وبعض مناحي تفكيرهم على معظم شعوب دولتهم ، وذلك بالرغم من أن الكثيرين من أبناء هذه الشعوب ،كانوا على مستوى حضاري، وثقافي أعلى من الفاتحين، وقد أسهم في إحداث هذه النتيجة ذلك الكبرياء العظيم، وتلك الثقة الكبيرة بالنفس اللذين يتمتع بهما العربي ، فالعرب البدو الأقحاح ،كانوا يؤمنون بأنهم أسمى من كافة البشر ، وقد نسب جانب كبير من هذا الاعتزاز بالنفس إلى الإسلام الذي يرى فيه المسلمون أنقى، وأرفع صور عباد الله ، وهم ما كانوا يصرون مجعجعين بهذا التفوق على الغير عن شكوك تعتمل في صدورهم، وإنما كانوا يعتقدون ذلك بإخلاص، وفي هدوء، وثقة رصينة بالذات ، وكأنما هو أمر بدهي مسلم به ، وكانوا أحيانًا ينتحلون حكمة الشعوب الأخرى، دون أن ينسبوها إليها ، ويعتبرونها مُستقاة من مصادر عربية، ولم تكن عملية تمثل حكمة غيرهم، وعلومهم على مستوى سطحي ، وإنما امتدت إلى أغوار سحيقة ،وحين اعتنق الإسلام أناس تلقوا تعليمهم في ظل تقاليد ثقافية سابقة ، بات عليهم أن يمزجوا في أذهانهم ما تلقوه في الماضي من العلم بدراساتهم القرآنية ، فإذا بإسهاماتهم تصب في التيار العام للفكر الإسلامي .(٢)

(١) المرجع السابق ، ص١٩

(٢) مونتجمري وات ، فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، السابق ، ص١٩–٢٠

**٢- إن الدين الإسلامي أكذوبة، و تشويه متعمد للحقيقة :** كان مفهوم الأوربيين في العصور الوسطى عن العالم، والإنسان، والرب شديد الارتباط بمفاهيم الكتاب المقدس، بحيث لم يكن في وسعهم أن يدركوا إمكان توافر صياغات بديلة للتعبير عن هذه المفاهيم ، وبالتالي، فإنه كلما اختلفت تعاليم الإسلام مع تعاليم المسيحية، قيل إن الأولى زائفة بالضرورة ، ويمكن أن نضرب مثلاً بالنظرة العامة إلى الفكر الأوربي بصدد هذه النقطة ، فقرة واردة في كتاب القديس توما الأكويني ، فبعد أن تحدث عن الآيات، والأدلة التي تدعم صحة العقيدة المسيحية، نجده يصر على أن هذه الأمثلة مفتقرة لدى أمثال محمد، ممن أسسوا ما أسماه توما بالفرق ، وقد ذكر بالإضافة إلى المتع الجسدية التي يبيحها الإسلام، والتي تجذب الناس إليه ، سذاجة الأدلة، والحجج التي جاء بها محمد، وخلطه الحق بقصص لا سند لها في التاريخ ، وتعاليمه الزائفة ، وافتقاره إلى المعجزات التي تؤيد زعمه أنه نبي، ثم وصف أتباعه الأول بأنهم "رجال لا علم لهم بالإلهيات، يعيشون في الصحراء حياة أقرب إلى حياة الحيوانات "، وربما كان هذا الوصف منه بسبب قبولهم لأي زعم دون مناقشة، أو تمحيص، ثم يضيف قوله إن هؤلاء الأتباع كانوا مع ذلك من الكثرة بحيث مكنوا محمدًا من إجبار الآخرين بالقوة العسكرية على اعتناق الإسلام، وذكر أنه بالرغم من زعم محمد أن الكتاب المقدس تنبأ بظهوره ، فإن النظرة المدققة، توضح أنه حرف شواهد العهدين القديم، والجديد " [١].

**٣- إن الإسلام دين العنف، والسيف :**يشير "وات " أن العلماء من أمثال توما الأكويني كانوا يحسبون أن محمدًا إنما نشر الإسلام بالقوة العسكرية، كما أنهم يخالون أنه من بين تعاليم دين العرب الدعوة إلى السرقة من أعداء الله، ورسوله، وأسرهم، وقتلهم ، واضطهادهم، وهدمهم بأي صورة من الصور ، بل لقد بلغ الأمر بأحد كبار المتحمسين المدافعين عن الحروب الصليبية، وهو Humbert of Romans إلى حد قوله : " إن المسلمين شديدو الحماس لدينهم؛ لدرجة أنهم يقطعون دون رحمة رأس أي

(١) المرجع السابق ، ص١٠٠-١٠١

مخلوق يهاجم هذا الدين في أي إقليم يسيطرون عليه "، وفي تلك الصورة للإسلام ، باعتباره دين عنف، ما يراد به الإيحاء بأنه مخالف تمامًا لصورة المسيحية، باعتبارها دين سلام انتشر عن طريق الإقناع ، ومن الغريب أن يصدق الرجال المشتركون في الحروب الصليبية أن دينهم دين سلام ، وأن دين خصومهم دين عنف .[١]

٤- **إن دين الإسلام دين يطلق لشهوات المرء العنان** :نظر الأوربيون في العصور الوسطى إلى الإسلام على أنه دين يتيح الفرصة لإشباع الشهوات، خاصة الشهوة الجنسية ،وكثيرًا ما كانوا يحسبون أنه لا حدود لعدد الزوجات التي يمكن للرجل الزواج بهن، اللهم إلا قدرته على الإنفاق ، وكثيرًا ما ترجموا آيات قرآنية، بحيث توحي معنى جنسيًا منفرًا ،بل لقد وجد واحد على الأقل من الكتاب آية قرآنية، زعم أنها تبيح الزنى ، ووجد آخرون متعة في مضاعفة التفاصيل الخاصة بالحياة الجنسية لدى المسلمين ، واعتقدوا أن أشكالاً حيوانية ، وغير طبيعية للاتصال الجنسي بين الأزواج يمارسها المسلمون بكثرة، ويحثون عليها، بل ذهبوا إلى أن القرآن يبيح الشذوذ الجنسي، ورأى البعض ذروة الإباحية الجنسية الإسلامية في التصوير القرآني للجنة ، وتحدثوا طويلاً عن الحور العين اللواتي سيكن من نصيب المؤمنين فيها، ووجدوا في ذلك فضيحة أيما فضيحة ، كذلك انتقدوا بشدة حياة محمد الزوجية ، وإن كانوا كثيرًا ما بنوا انتقاداتهم على مبالغات، أو مزاعم كاذبة حسب وصف "مونتجمري وات".[٢]

ولكن " وات " لم يلبث أن أضاف بأن :" لبعض تفاصيل هذه الصورة التي رسمها أوروبيو العصور الوسطى أساس من الواقع ، فللمسلم أن يتزوج من أربع نساء ، فبالإضافة إلى التسري بمن ملكت يمينة ، وله أن يطلق امرأته دون أن يذكر السبب ، ومع ذلك، فالزواج، والطلاق تحكمهما

(١) مونتجمري وات ، فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، السابق ، ص١٠٢

(٢) المرجع السابق ، ص١٠٣

إجراءات شرعية دقيقة ، ولا يتمان بطريقة عفوية ، أما عن العلاقات الجنسية خارج نطاق الزوجية فثمة مجتمعات إسلامية شديدة التعفف ، وقد تُقتل الفتاة التي تلد مولودًا غير شرعي على يد أحد أفراد العائلة التي فضحتها بسلوكها ، ويُعاقب على الزنى بين متزوجين بالرجم، كما في الكتاب المقدس"[١]

وبالنظر إلى ما كتبه " وات " فإننا نجده مدافعًا عن الإسلام، وثقافته ، إلا أن هذا الدفاع لا يخلو من بعض الأفكار المغلوطة عن الإسلام ،والتي ترسخت في اللاوعي الغربي ، نتيجة الكم الكبير من المعلومات الزائفة التي نشرها مستشرقو القرون الوسطى، ووجهوها إلى العقل الأوربي بالذات ،لتظهر نتيجتها في بعض الأخطاء في فهم الإسلام ورسالته ، كالخلط بين الدين، والعادات .

**المطلب الثاني : تأثر بعض المسلمين بالمركزية الغربية .**

مما لا شك فيه أن الحضارة الإسلامية قد أسهمت في تشكيل الفكر الغربي لفترة طويلة من الزمن ، وأنها قد قدمت الكثير من العلم، والبناء، والازدهار للغرب ،يبرز ذلك المنصفون من الغرب ، الباحثون في مجرى تغير الحضارات الإنسانية، وتأثرها بعضها ببعض .

فالأمة الإسلامية لها تراث عظيم متنوع، وثقافة راقية في ظل دينها الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه ، ولهذا تطور الغرب مستفيداً من حضارتنا، وتراثنا أكثر من استفادته من ماضيه، وتراثه ، وبما أن كثيراً من المسلمين يجهلون تاريخهم، ومجدهم الماضي، فليس غريبًا عليهم أن يعرضوا عنه، ويلهثون وراء ما لدى الأمم الأخرى .

ولكن علي بن إبراهيم النملة في كتابه "مراجعات في نقد الفكر الاستشراقي " يدعو إلى عدم تهويل تأثير الاستشراق على عقول المسلمين؛ لأن هذا يضفي على موقفهم من الإسلام قوة في التأثير غير عادية ، لا يقوى

(١) مونتجمري وات ، فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، السابق ، ص١٠٤

المسلمون على اختراقها ، وهذا الموقف فيه من التهويل ما يستحق المراجعة ، مما جعل هذا الإحساس المهوّل المستشرقين، يفوزون في حلبات من الصراع المُفتعل .[١]

ولكن هذه النظرة المتزنة لتأثير الاستشراق ، ينبغي أن لا تجعلنا ننسى تأثر رهط من التلاميذ العرب، والمسلمين بالفكر الاستشراقي، وانبهارهم بما أولاه هؤلاء للثقافة الإسلامية، ودأبوا عليه من البحث، والتقصي فتبنوا أفكارهم، ورؤاهم، ونظرياتهم حول استمداد الفقه الإسلامي من القانون الروماني، وحول غيره من الرؤى ذات العلاقة، مثل أصالة اللغة العربية[٢]، وأصالة الترقيم، والحركات، أو التشكيل الذي لم يكن حاضرًا في منطلق التدوين، سواء في الجاهلية أم في صدر الإسلام .[٣]

جاء هذا التأثير، إما بالدراسة عليهم، أو بالانبهار بما خاضوا به من موضوعات لثقافة لا ينتمون إليها ،أو من ضعاف الخلفية العلمية الذين يلتقطون المعلومة الاستشراقية في مسار العناية بالآداب، والفنون الغربية، والتأثر بالفلاسفة الغربيين، ثم الالتفات إلى ما قالوه عن الإسلام بقدر من الانبهار، على اعتبار أن فيه جديدًا لم يطرقه العلماء المسلمون ، ومن ثم قبول نظريات المستشرقين حول الإسلام، والقرآن الكريم، والرسالة، والترويج لها ، وربما تقمصها، وادعاؤها ، إلى درجة القول إن هؤلاء المستشرقين قد فهموا الإسلام أفضل من فهم أهله له .[٤]

---

(١) علي بن إبراهيم النملة ، مراجعات في نقد الفكر الاستشراقي حول الإسلام القرآن والرسالة ، دار بيسان ، الرياض ، ط٢، ٢٠١٤م ، ص٥٩

(٢) عبد الله بن حمد الخثران ، أصالة النحو العربي ، مجلة كلية اللغة العربية ، الرياض ، ج١١، ١٩٨١م ، ص٣١٥-٣٢٦ ، و علي بن إبراهيم النملة ، مراجعات في نقد الفكر الاستشراقي ، السابق ، ص٢٣١

(٣) علي مصطفى صبح ، أصالة الترقيم بين دعوى المستشرقين وأصالة التراث العربي القديم ، الفيصل ، ع ٧٣، ١٩٨٣م ، ص٤٧-٤٩.

(٤) علي بن إبراهيم النملة ، مراجعات في نقد الفكر الاستشراقي ، السابق ، ص ٢٣١

لقد تُرجم هذا الانبهار في صورة تلمذة ثقافية تامة للمستشرقين ، فالمتأثرون من المسلمين بالنزعة المركزية الغربية، تصرفوا مع نصوص المستشرقين تصرف التلميذ المتعلم ،مع المادة التي يقدمها أستاذه ، في علاقة التلمذة هذه يستبطن المتأثر أفكار المستشرق بوصفها إما مسلمات فكرية، لا مجال لوضعها موضع التساؤل، أو المراجعة ، أو بوصفها الإطار المعرفي الوحيد الذي يمكن الانطلاق منه للتفكير في الموضوع.(١)

يظهر التأثر بالفكر الاستشراقي بما فيه من مركزية ، في التفكير، والكتابة من داخل الأطر، والرؤى، والإشكاليات الاستشراقية ، وترديد أفكار المستشرقين، ومسلماتهم ، ومن دون فتح الحوار النقدي مع الكثير من تلك الأفكار ، إن تأثير مستشرقين كثر مثل آدم مينز ، ويوليوس فلهوزون ، وإغنتس جولد تسهير، وكارل بروكلمان ،وغوستاف لوبون ، كان كبيراً على النهضويين –كما يسميهم بلقزيز– في الرؤية، والمنهج ،ويمكن تحسسه من نوع الإشكاليات التي كان يخوض فيها بعضهم تأليفًا ، وطريقة تناولهم لتلك الإشكاليات ، ويمكننا ذكر أمثله لذلك التأثير من أعمالهم .

فلو أخذنا كتابًا مثل تاريخ التمدن الإسلامي (٢) لجرجي زيدان، وقد صدر في العام ١٩١١م، لعثرنا على بصمات أفكار الاستشراق فيه ، من اختيار موضوع الكتاب (التمدن) إلى طريقة التصنيف، والعرض إلى النزعة التاريخية التطورية في النظر إلى تاريخ الإسلام ، إلى مفهوم الحضارة، والمدنية التي يتردد في الكتاب ، إلى الجمع بين التراث المادي، والتراث الثقافي في النظر إلى وجوه التمدن ، إلى المنهج التاريخي التصنيفي المتحرر من قيود السرد الاخباري الكلاسيكي ، صحيح أن

(١) عبد الإله بلقزيز ، نقد الثقافة الغربية في الاستشراق والمركزية الأوربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيرت ، ط١ ، ٢٠١٧، ص٣١

(٢) جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ن ج٥ ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٩٧م .

بعض بصمات ابن خلدون حاضرة في الكتاب ، أو في طريقة التصنيف للعلوم، أو للفنون، أو للصنائع ، لكنها حاضرة في نسيج جديد يحتل فيه الأثر الاستشراقي مكانًا ، ولعل هذا الانفتاح من زيدان على كتابات المستشرقين، وطرائقهم في الدرس ،ورؤيتهم إلى حضارة الإسلام، ومركزية الدين فيه ، هو ما دفع بعضهم مثل جولد تسهير، وغيره إلى تقريظ الكتاب في نصوص أثبتها زيدان فيه ، فلقد كانوا –بمعنى ما – يعثرون فيه على دليل بأن قراءاتهم لتراث الإسلام تنجب جيلاً من الباحثين العرب يتقفى آثارهم ، وعلى أن ما كتبوه، ونشروه في الموضوع لم يكن من قبيل النظرة البرّانية إلى حضارة أخرى، بدليل أن أبناء تلك الثقافة الأخرى يشهدون لتلك النظرة بالموضوعية ، ولكن التقريظ ذاك هو أيضًا شهادة من كبار المستشرقين في حق جرجي زيدان، تقول إن ميدان الدراسات الإسلامية يولد ولادة ثانية ، من داخل المجتمعات العربية، وثقافتها ، وبيد مفكريها، وباحثيها ، وإن قلمًا لامعًا يخط صفحات من سفر دشنه المستشرقون ، فيكتب عن تاريخه مقتديًا برؤاهم، ومناهجهم ، بل هو يكتب ذلك التاريخ ، بنفس شمولي، وتركيبي يجتمع فيه التاريخ ، تاريخ الفكر، والحضارة ، والتاريخ الثقافي – الاجتماعي .[١]

مما ينبغي أن نعرفه أن هذا (التأثر ) بالمركزية الغربية ، ناتج عن دراسات المستشرقين المصدرة لنا بحروبهم النفسية لتحطيم الشخصية الإسلامية ، كزعمهم أن الناس أجناس، فالغرب جنس آري، فُطر على الذكاء، والنبوغ، والمواهب، والعلم، والعبقرية ، وأن الشرق جنس سامي، لا يرقى إلى هذا المستوى ، وليس هو بأهل له ، فالغرب غرب، والشرق شرق ، كما بثوا زعمهم أن العوالم دول صناعية متقدمة، وهي دول الغرب ، ودول نامية متخلفة، يقصدون بذلك ما سواهم ، حتى يرسخوا في نفوس

(١) عبد الإله بلقزيز ، نقد الثقافة الغربية ، السابق ، ص٣٣-٣٤

المسلمين أنهم شعوب متخلفة ، لا ترقى لمصاف الدول المتقدمة ، وشنوا حربهم على كل بادرة تقدم في ديارنا، ونهبوا خيرات بلادنا .[١]

وتبدو خطورة الاستشراق في آثاره الخطيرة التي يفرضها المستشرقون على مناهج التعليم، والثقافة، والفكر في العالم الإسلامي ،وقد حرص المستشرقون على استخدام الأتباع لترويج مفترياتهم على الإسلام، وافتعال معارك حول عقائده وآدابه، ومختلف أحكامه؛ لتعميق المفاهيم التي يريدون فرضها، وترسيخها في الأذهان، وتوسيع دائرة الانتفاع بها .[٢]

إن أنصار وأتباع الاستشراق من الذين تتلمذوا على المستشرقين، ودرسوا مناهجهم المعتمدة على التحليل النفسي، والتفسير المادي للأمور، هم أخطر الوسائل التي تداهم الإسلام، والمسلمين، إذ تتمثل خطورة هؤلاء الأشخاص من ذيول الاستشراق، وأتباعه فيما ينشر لهم من كتب، ومطبوعات أصبحت تستخدم من قبل الناس، وأنها مراجع علمية تتسم بالموضوعية، والأسلوب العلمي الممتاز، مثال ذلك كتابات العرب أتباع المستشرقين في دائرة معارف الإسلام ، تاريخ كامبردج ، والدوريات ، والمجلات التي تعنى بالدراسات الاسشراقية ،وبذلك يكون المسلم قد أخذ أسس حضارته، وتشريعات دينه من مصادر محرفة غير سليمة ، وملوثة تلوث الفكر الإسلامي بما ليس فيه ، فالتأثر بأسلوب الحياة، ومناهج التفكير في الغرب، يأخذ مكانه في نفس كل شخص يجهل حقيقة دين الإسلام، وحقيقة الحضارة الإسلامية، وكل منهم يتأثر بالأفكار، والرؤى الاستشراقية الغربية عن الحضارة الإسلامية .[٣]

---

(١) عمر بن إبراهيم رضوان ، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره دراسة ونقد ، دار طيبة ، الرياض ، ١٩٩٢م ، ط١ ، ج١ ، ص ٤٦

(٢) عدنان محمد زان ، الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ، ص ٧٥

(٣) عدنان محمد وزان ، الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ، ص٧٦-٧٧ باختصار وتصرف يسير

وتكمن خطورة التأثر بالنزعة المركزية الغربية ، في استيراد الأنظمة الغربية لتحل محل الأنظمة الإسلامية ، فتأثير هؤلاء الأتباع يكمن في اتجاهاتهم الفكرية ، والمستشرقون يعلمون أن كتابات هؤلاء الأتباع تفيدهم في الاستشهاد على الإسلام، والمسلمين، واعتبار كتابات أنصارهم حججًا، وبراهين تعينهم في التدليل على ما يريدون إثباته على الإسلام، فيما يكتبون عن القرآن، و السنة، ونبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن المستشرقين يعتبرون كتابات هؤلاء كتابات مصدرها أبناء المسلمين .[١]

وعلى سبيل المثال، فهذا طه حسين، وأفكاره التي ضمنها كتابه مستقبل الثقافة في مصر ، والذي يرى فيه أن تكون مصر فرعونية الثقافة ، وعلى مصر أن تكون ثقافتها أوربية خالصة [٢]، فكشف عن غطاء التأثر بأقوال المستشرقين، ومحض تبعية الآخرين للغرب ، في طلبه بأن تكون ثقافة مصر ثقافة أوربية خالصة، متوجة بالحضارة الفرعونية، لا عربية، ولا إسلامية ، بل ويأمل أن تكون كل شعوب الأرض كذلك ، ليكون الاتجاه العام لكل هذه الشعوب اتجاهًا أوروبيًا خالصًا، وأن يكون تأثر المسلمين بالغرب، وفي ذلك يقول :" والتعليم عندنا على أي نحو قد أقمنا صروحه، ووضعنا مناهجه، وبرامجه منذ القرن الماضي ؟ على النحو الأوربي الخالص، ما في ذلك شك، ونزاع، نحن نكوّن أبناءنا في مدارسنا الأولية، والثانوية، والعالية تكوينًا أوروبيًا لا تشوبه شائبة ، فلو أن عقول آبائنا، وأجدادنا كانت شرقية، مخالفة في جوهرها، وطبيعتها للعقل الأوروبي ، فقد وضعنا في رؤوس أبناءنا عقولاً أوروبية في جوهرها، وطبيعتها، وفي مذاهب تفكيرها، وأنحاء حكمها على الأشياء "[٣].

كما تحدث طه حسين عن أنه لا توجد وحدة في الشرق المسلم، وأن الإسلام، واللغة العربية لا يبنيان وحدة بين الناس ، وأن الإسلام دين قادم

(١) المرجع السابق ، ص٧٩

(٢) طه حسين ، مستقبل الثقافة في مصر ، دار هنداوي ، ٢٠١٤م ، ج٩ ، ص٤٠-٤١

(٣) طه حسين ، مستقبل الثقافة في مصر ، السابق ، ص٢٧.

من الصحراء، خال من الحضارة ،والإسلام بمثابة خليط مركب، لا يفي بحاجة الناس [١]، ولا غرابة في قول طه حسين هذا، فقد سبقه إلى ذلك جولد تسهير، وغيره من المستشرقين الذين قالوا بأن الإسلام في مجموع تشريعاته خليط مركب من القوانين الرومانية، واليونانية ، فمن الواضح أن المتأثرين بالمركزية الغربية لم تكن لهم أصالة الإبداع، والأسبقية في تحليلهم للأمور ، وإنما أقوالهم نتيجة تأثرهم بآراء المستشرقين من أمثال مرغليوث الإنجليزي .[٢]

ويخص إبراهيم السكران (المنهج الفيلولوجي )[٣] بأنه أكثر مناهج المستشرقين[٤] تقبلاً عند بعض المفكرين العرب، الذين كان لهم مشروعات في إعادة تاريخ، وقراءة التراث الإسلامي ، بدءًا من جرجي زيدان، وانتهاء بأحمد أمين ، وبذات التعميمات المستهلكة المألوفة في لغة المستشرقين الفيلولوجيين، يتحدث محمد عابد الجابري، فيقول :" ورثت الثقافة العربية الإسلامية كل علوم المعقول، واللامعقول في الثقافات القديمة "[٥]، وكما تحدث المستشرقون عن تسرب الفكر الجاهلي العربي

(١) المرجع السابق، ص٢٥، ومما ينبغي أن اشيرإليه أن طه حسين قد تراجع عن الكثير من أقواله وللاستزادة ينظر في كتاب محمد عمارة والذي هو بعنوان "طه حسين من الانبهار بالغرب إلى الانتصار للإسلام "

(٢) عدنان محمد وزان ، الاستشراق والمستشرقون ، السابق ، ص٨٢

(٣) هو فقه اللغة، وقد اختلط في دلالته الاصطلاحية مع دلالات أخرى ، عبد الحسين مهدي عواد ، فقه اللغة العربية فصول في نشأته ومباحث في تأصيلات معارفه ،مؤسسة العارف للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠٠٨م ، ط١، ص٣٤

(٤) هي الطرق التي سلكها المستشرقون في دراستهم للدين الاسلامي، ومنها منهج العكس ، منهج التأثير والتأثر ، المنهج المادي ، المنهج التاريخي ، المنهج الفيلولوجي ، المنهج الإسقاطي ، المنهج الانتقائي ، المنهج الشكي ، ثائر علي الحلاق ، مناهج المستشرقين في دراسة الاسلام ، دراسة وصفية تحليلية ، ص ٢٧٩-٢٩٩باختصار.

(٥) محمد عابد الجابري ، نحن والتراث ، المركز الثقافي العربي ، ط٦ ، ١٩٩٣م ، ص٣٠٤

للعلوم الإسلامية ، فقد كان الجابري صريحًا ، ولم يُحِل التأثير إلى عصور لاحقة ، كعصور الترجمة مثلاً ، بل اتهم الجابري بكل وضوح علوم الكتاب والسنة في عصر الصحابة بأنها صادرة عن الموروث الجاهلي، فهو يقول:" ليس هناك معقول متحرر تمامًا من اللامعقول ، وبالمثل ليس هناك موروث قديم يمكن عزله عما عبرنا عنه بالفكر الديني العربي، والذي نقصد به الكتاب، والسنة، كما يمكن أن يُقرأ داخل مجالهما التداولي ، ذلك لأن هذا المجال التداولي نفسه يتحدد أساساً بالموروث الجاهلي، أي بنوع الثقافة، ومستوى الفكر السائدين في مكة، والمدينة على عهد النبي "[١]، وهكذا فيما يسميه الجابري الفكر الديني العربي، ليس هو استنباطات متأخري علماء الإسلام، بل هو أيضًا الكتاب والسنة في عصر الصحابة، وكلها في نظره متأثرة أساسًا بالموروث الجاهلي العرب، ولا يمكن عزلها عنه.[٢]

ويضيف السكران بأن هذا نموذج من نماذج الموقف **التوفيدي الإجمالي** من العلوم الإسلامية ، وهو موقف يعاد توزيعه بالتجزئة على كل علم من علوم الإسلام، كما صنع المستشرقون، وهناك بعض الشواهد.[٣]

في خصوص العقيدة الإسلامية، فإن أحمد أمين جعل عقيدة السلف في إثبات الصفات الإلهية الاختيارية نظرية مستوردة من اللاهوت اليهودي ، حيث عقد أحمد أمين مبحثاً استعرض فيه (تسرب الثقافة اليهودية إلى المسلمين )[٤] ، ثم يقول فيه :" وذهب جماعة من غلاة الشيعة ، وجماعة

(١) محمد عابد الجابري ،تكوين العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية، جماعة الدراسات العربية والتاريخ والمجتمع ، ص١٤١

(٢) إبراهيم عمر السكران ، التأويل الحداثي للتراث التقنيات والاستمدادات ، دار الحضارة ، ط١ ، ٢٠١٤م ، ص١٥١-١٥٢

(٣) إبراهيم عمر السكران ، التأويل الحداثي للتراث ، السابق ، ص١٥٢

(٤) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، ج١، ١٩٩٧م ، ص١٤٠

من أصحاب الحديث إلى التشبيه، وقالوا إنه يجوز عليه – أي الله – الانتقال، والنزول، والصعود، والاستقرار ... إلخ ، فحذوا في ذلك حذو اليهود في اختلافهم "[١] .

وهذه فكرة استشراقيه مكررة ، وقد واصل الطرق عليها الجابري أيضًا؛ حيث أشار إلى أن عقيدة أهل السنة (الذين يسميهم الحشوية) في إثبات الصفات الإلهية ،وإمرار آيات الصفات على ظاهرها، أنها عقائد وافدة من ثقافات سابقة، كما يقول الجابري :" آراء، وتصورات ما يعرف بالحشوية المشبهة، والمجسمة، وهي كلها تنتمي إلى الموروث القديم ،وقد وجدت طريقها إلى مضمون النص القرآني عن طريق التمسك بالظاهر "[٢].

وهكذا أيضًا أحال الجابري بعض الأحاديث النبوية الصحيحة إلى مصادر ثقافية قديمة، حيث عقد الجابري فصولاً طويلة، لخص فيها بعض بحوث المستشرقين في انتقال الثقافات الخرافية، كالهرمسية، والغنوصية إلى بلاد الإسلام ،وهذا بعضه حق، لكنه جعل بعض الأحاديث النبوية الصحيحة ثقافة هرمسية وافدة ، وهاهنا يبدأ الخلل [٣]، ومن ذلك الحديث الصحيح المشهور الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما " أن الله خلق آدم على صورته "[٤]، ومع ذلك يقول الجابري :" طبقًا للقول المأثور "خلق الله آدم على صورته "، وهي عبارة هرمسية " [٥]، ونسبة هذا الحديث بالذات إلى الثقافات السابقة، تكرر كثيرًا عند المستشرقين، ومن أخذ عنهم ، وأقصد بمن أخذ عنهم أمثال محمود أبو رية، فقد كان أبو رية علماً، و رمزاً لمنهج سلخ كلام المستشرقين في السنة النبوية، وأضافه لنفسه، وأعاد نشره بلغة شعبية مباشرة ،ويتحدث محمد أركون عن السيرة النبوية، فيكرر

(١) المرجع السابق ، ص١٤٢

(٢) محمد عابد الجابري ، تكوين العقل العربي ، السابق ، ص١٤٢

(٣) إبراهيم عكر السكران ، التأويل الحداثي للتراث ، السابق ، ص١٥٥

(٤) صحيح البخاري ٦٢٢٧، صحيح مسلم ٢٦١٢

(٥) الجابري ، تكوين العقل العربي ، السابق ، ص٢٠٨

أيضًا ذات الفكرة الاستشراقية ، وهي أن السيرة النبوية استعارة لثقافة سابقة، وهي الثقافة الجاهلية العربية، حيث يقول أكون :" تحوير الماضي من أجل دمجه في النظام الجديد للعقائد، وهذا ما فعلته السيرة النبوية بعد القرآن بالنسبة للجاهلية "(١).

ويجب أن يرتبط نقدنا لإنتاج المستشرقين ، بنقد ذاتي حقيقي بصفة مستمرة ، يجب أن نواجه أنفسنا مواجهة حقيقية بعيوبنا، وقصورنا، وتقصيرنا ، وأن نكون على وعي حقيقي بالمشكلات التي تواجهنا في هذا العالم المعاصر .(٢)

وقد يتمثل الجانب الإيجابي للاستشراق في صورة الهجوم علينا، وعلى أمجادنا، وليس في صورة المدح ، وإن كان هذا يبدو أمراً غريباً ، وهو غريب حقًا ، ولكن إذا عُرف السبب بطُل العجب ، فكلنا يعلم أن هناك عددًا لا بأس به من المستشرقين المنصفين، قد مدحوا حضارتنا في مؤلفاتهم، وأثنوا على أمجادنا، ومجدوا تراثنا ، وآخرهم المستشرقة الألمانية " زيجريد هونكة "، في كتابها شمس الله تسطع على الغرب، " والمستشرقة " آنا ماري شيمل " في كتابها و"أن محمدًا رسول الله "، ونحن نقدر لهؤلاء العلماء هذه الجهود العلمية العادلة ، ونشكر لهم باسم العلم إخلاصهم للحقيقة، ووقوفهم في صف النزاهة العلمية، والتزامهم بالموضوعية، والبعد عن الأهواء، والأغراض .(٣)

ولكن هناك ملاحظة في هذا المقام، تخصنا نحن المسلمين ، وتتلخص هذه الملاحظة في أن جانب المدح، والثناء قد يكون له تأثير تخديري

(١) محمد أركون ، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق :هاشم صالح ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، ١٩٨٩م ، ص٧٦

(٢) محمود حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، دار المنار، القاهرة ، ١٩٨٩م ، ص١٥٠

(٣) محمود حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، السابق ، ص١٥٠

علينا [١]، فيجعلنا نغمض عيوننا مستسلمين لتلك الأحلام السعيدة التي تذكرنا بالعز الذي كان ، ونركن إلى ذلك، ونعيش على صيت آبائنا، وأجدادنا ، ونظن أننا عظماء لأن أجدادنا كانوا عظماء ، ومن هنا فإن الجانب الهجومي التفنيدي الاستفزازي في إنتاج المستشرقين، قد يكون بالنسبة لنا خيرًا من جانب المدح، تأكيدًا للمثل المعروف (رب ضارة نافعة ) ، فقد يكون هذا الاستفزاز حافزًا لنا على الخروج من حالة الركود الفكري التي وصلنا إليها، فننهض بعد طول رقاد، وننطلق من جديد، نبني أفكارنا، ونعيد ترتيب ثقافتنا ،وبذلك نقبل التحدي، ونستجيب له بانطلاقه إسلامية حضارية جديدة .[٢]

ولا بد لنا أن نعترف بأن الاستشراق يستمد قوته من ضعفنا، ووجوده مشروط بعجز العالم الإسلامي عن معرفة ذاته ، فالاستشراق في حد ذاته كان دليل وصاية فكرية [٣]، ويوم أن يعي العالم الإسلامي ذاته، وينهض من عجزه، ويلقي من على كاهله أثقال التخلف الفكري، والحضاري، يومها سيجد الاستشراق نفسه في أزمة، وخاصة الاستشراق المشتغل بالإسلام ،ويومها لن يجد الجمهور الذي يخاطبه، لا في أوروبا، ولا في العالم الإسلامي . [٤]

ولا يجوز لنا أن ننتظر من غيرنا، أيًا كان، أن يساعدنا على النهوض من كبوتنا ، فقد تعلمنا من تراث الأجداد أنه "ما حك جلدك مثل ظفرك ، فتول أنت جميع أمرك "، وإذا كان علينا أن نضع عن أنفسنا أغلال

(١) مالك بن نبي ، إنتاج المستشرقين ، القاهرة، ١٩٧٠م ، ص٢٣ ،و محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية ، السابق ، ص١٥٠

(٢) محمود حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية ، السابق ، ص١٥٢ .

(٣) هشام جعيط ، أوروبا والإسلام وصدام الحداثة ، ترجمة طلال عتريسي ، دار الخليفة ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص٦٨ ، ومحمود حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية ، السابق ، ص١٥٢

(٤) محمود حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية ، السابق ، ص١٥٣

الوصاية الفكرية ، فإن علينا من ناحية أخرى، أن نتحرر من عقدة التخلف ، التي تسيطر علينا في جميع مناحي حياتنا ، والتي تسد علينا منافذ الأمل ، في الخروج من أزمتنا، فقد تحررنا من الاستعمار العسكري ، ولكننا لم نتحرر من القابلية للاستعمار ، ولهذا فإن نظرتنا لكل ما يأتي من الغرب هي نظرة التقدير، والإكبار ، فنتلقف كل ما يأتي من الغرب المتقدم(١) ، فلابد إذن من تغيير جذري في سلوكنا ، والتخلص من" عقدة الخواجة "، والتقدير الفائق لقدرات الأجنبي ، فقضية التقدم المادي الغربي قضية لا خلاف عليها ، واللحاق بركب التطور العلمي، والتقني أمر لا جدال فيه ، ولكن السؤال الجوهري هو : هل نحن حريصون على الحفاظ على هويتنا، وعقائدنا، وتراثنا، واستقلالية شخصيتنا الإسلامية، أم لا ؟ إذا كانت الإجابة بالإيجاب، فنحن إذن أصحاب قضية يجب أن نعمل من أجلها بكل إمكاناتنا، وطاقاتنا ، وهي قضية مصيرية من أجل إثبات الذات ، قضية صراع حضاري مرير ، والاستشراق طرف في هذه القضية، لأن كثيرًا من الدراسات الاستشراقية في مجال الإسلاميات، تهدف بطريق مباشر، أو غير مباشر إلى طمس معالم هويتنا، والتشكيك في عقائدنا، وتراثنا ، والنيل من استقلالية شخصيتنا العربية الإسلامية ، والتصدي لذلك من جانبنا له أساليب مختلفة، ترتكز كلها على شرط جوهري، لا بد من توافره قبل أن تخطو خطوة واحدة في هذا السبيل ، ويتمثل هذا الشرط في الثقة بالنفس، والإيمان بالهدف .(٢)

(١) محمود حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية ، السابق ، ص١٥٣

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٥

## المطلب الثالث : تعميق الخلاف بين الشرق الإسلامي والغرب .

لقد أدت الممارسات الخاطئة من قبل الاستشراق كمدرسة فكرية إلى زيادة الهوة، والمسافة بين الغرب والشرق الإسلامي ، وتعميق أسباب الخلاف ، وتضييق أسباب التفاهم، والتقارب، والتعاون، فأصبح كلا الطرفين يستريب من الآخر ، ويشعر بالخوف منه ، وكأنما هو العدو الذي لا يمكن أن يبنى معه حوار، أو تفاهم .

وتمثل هذا الخلاف في تعميق شعور " الخوف " لدى الغربيين من الإسلام ، فالهدف السياسي الراهن من الكتابة عن الإسلام في الغرب ، هو سد الأبواب الفكرية أولاً على الإنسان الغربي نفسه، حتى لا يرى في ظهور الإسلام على حقيقته ملجأ له من واقع التمزق الفكري والعقدي والاجتماعي ، إنهم يطمعون في عرض صورة مشوهة عن الإسلام إلى الإنسان الغربي ، حتى يخدعوا الغربيين المتطلعين إلى الإسلام(١).

إن الغرب كان، ولا زال، قديمًا وحديثًا ، يخاف أشد الخوف من الإسلام ، لذا عمد الغرب، ومنذ ظهور الإسلام إلى تشويه الصورة الحقيقية للإسلام، وتعمد نسج الافتراءات، والأكاذيب حوله، حتى تستقر تلك الصورة القبيحة عن الإسلام راسخة في الوجدان، والعقل الأوربي .(٢)

لذا تمركز لدى الفكر الغربي بكل دوائره الفكرية، أن العدو لحضارته ، بعد انهيار الشيوعية، هو الإسلام، فالحضارة الإسلامية هي التحدي الوحيد لهيمنة الحضارة الغربية على العالم (٣)، فنُظر إلى الإسلام في أمريكا كحضارة معادية بربرية ضد الديمقراطية، وحرية الفرد، وحقوق الإنسان، وأظهرت

---

(١) أنور الجندي ، ترشيد الفكر الإسلامي ، دار الاعتصام ، النادي الشبابي، الرسائل الجامعية ، ص٩٢،

(٢) عادل حمدي عباس ، الآخر في الفكر الغربي مركزية الذات وتنامي مفهوم الاستعلاء وانحدار الغيرية ، جامعة الأزهر ، مقال علمي محكم ، نشر في مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ، العدد الأربعون ، ص ٢٩٤

(٣) محمد عمارة ، الغارة الجديدة على الإسلام ، نهضة مصر، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، ص٢١١

الدراسات أن معظم الأمريكيين ينظرون إلى العرب على أنهم أغنياء جدًا، وبلا أخلاق ، وبدويون، وصحراويون ، ومعظم الأمريكيين يعتقدون أن المسلمين متطرفون دينيًا، وأن الإسلام في أساسه ضد الديمقراطية ، ونجد في قلب الفكر الأوربي أن الإسلام في أساسه ضد الديمقراطية ، ونجد في قلب الفكر الغربي أن الإسلام ليس فقط مصدرًا للخوف بسبب التطرف ،ولكن أيضًا لأنه يخلط بين الدين والسياسة ، وأن الإسلام يحاول إعادة هيكلة الحياة الغربية بأسلوب مختلف يهدد حضارتهم .(١)

إن علم الاستشراق الذي نشأ في سياق تاريخي معين ، ولما كان في خدمة القوى السياسية، والعسكرية، والثقافية، فإنه من الضروري أن يتأثر بميول الغرب، وأفكاره عن الإسلام في القرون الوسطى ، مما خلف بعض الأفكار الخاطئة، والانطباعات العبثية الحمقاء، التي بقيت في أعماق الوجدان الشعبي، وأثرت في التعليم العام .(٢)

إن هذه الأفكار التي خلفها الاستشراق في وعي الإنسان الغربي أدت إلى تعميق الخلاف بين الشرق والغرب، وظهر الخلاف واضحاً في عدة أمور، منها :

١- **الخلط بين الإسلام، والممارسات السياسية** : أدى هذا إلى نشوء مدرسة فكرية جديدة منغلقة على نفسها ، قليلة التخصص، إلا أنها فتية، ونشيطة في عرض الأمور ، وتقدم إنتاجًا ينتشر على نطاق واسع بين جمهور مثقف، وغير متخصص، تأخذ ثقافتها من الأحداث المعاصرة، وترى فيها فرصة مناسبة لإجراء تعليقات بصورة عشوائية، وإجراء التحاليل بصورة فوضوية، إذ إنها لا تأخذ من الأمور إلا الطرف المباشر، والعابر ، ومن تلك الأحداث العابرة، تقدم صورة الإسلام ، ومع ذلك للأسف لا تقوم موقف التفاهم، وإنما تقف موقف المجابهة ، ونذكر على سبيل المثال : الاسترسال في التعليق على

(١) حسان حتحوت وآخرون ، الإسلام في أمريكا، ص٥٣-٥٤، و عادل حمدي عباس ، الآخر في الفكر الغربي ، السابق ، ص٢٩٥

(٢) محمد إبراهيم الفيومي ،الاستشراق رسالة الاستعمار ، السابق، ص٣٩٢-٣٩٣

ذكر الفروق بين السني والشيعي، وهكذا يأخذون من الأحداث الجارية العارضة ما يقوي طعنهم في الإسلام، والعرب، ويسهبون في ذكر الفروق بين السني والشيعي، وكأن الإسلام هو تلك الصورة ...إلخ .

٢- **الخلط بين الإسلام، ومصادر الطاقة** :ظهر عنصر اقتصادي جديد، بالإضافة إلى الميول الغربية إلى تشويه الإسلام في الغرب ، حين يعتبر الغرب العالم الإسلامي بكل بساطة، وبراءة بمثابة الدول التي تمسك في أيديها مفاتيح تموين الغرب بمصادر الطاقة ، وهذا نوع من التوليف الغربي بين الخوف، والازدراء، يقول مارسيل بوازارا [١]متسائلاً : هل يتساوى الإسلام بالنفط ؟ أي أن الإسلام والنفط بمعنى واحد ، فهناك العديد من التعليقات المشوهة التي تخدع، وتوهم ضمنيًا بهذه المعادلة الحمقاء، ومن ذلك أيضًا اعتبار منظمة الدول المصدرة للنفط –حكومة عربية إسلامية – غزت تلك التفسيرات الجزئية المنحازة في تفسير أعماق اللاوعي الغربي ،أما قد حان الوقت للفصل بين الإسلام والنفط ؟

يجب الابتعاد عن الخلط بين الموارد التي توجد في كل مكان، وليس عند العرب وحدهم، وبين الإسلام، وعلى الأوربي النظر من جديد إلى الإسلام على أنه يساعد على إقامة أسس لعالم أفضل، قاعدتها التسامح .[٢]

٣- **تجاهل الإسلام ، وكأنه موضوع هامشي:** هناك بعض البلدان الغربية ،كالبلدان الإسكندنافية تتجاهل موضوع الإسلام ، ولا شك أن انعدام المعرفة عن الإسلام يسيء إلى الحوار أكثر من التشوية .

---

(١) مارسيل بوازارا: أستاذ جامعة، سويسري عاش أكثر من اثني عشر عامًا في بلاد عربية وإسلامية ، خاصة كممثل للجنة الصليب الأحمر الدولي، ومشاركًا في برامج التثقيف الدبلوماسية بالمعهد الجامعي للدراسات العليا بجنيف ، من أبرز مؤلفاته إنسانية الإسلام : ektab.com

(٢) محمد إبراهيم الفيومي ، الاستشراق رسالة الاستعمار، السابق ، ص٣٩٤

٤- **الأقليات المسلمة** :وهناك الأقليات المسلمة الموجودة في الغرب، وهم بصورة عامة من مستوى اجتماعي، وثقافي أدنى، ولأسباب اجتماعية أكثر من أن تكون ثقافية، لا يساهمون فعلاً في عملية تسهيل الحوار فقط، بل يعكسون صورة مشوهة عن الثقافة التي ينتمون إليها، وهم في نظر الرأي العام الأوربي " عمال مهاجرون "، تتم حماية ذاتيتهم الثقافية في المجتمعات العلمانية عن طريق إجراءات دينية بحتة، مثل : إنشاء زوايا ، وأماكن العبادة، علمًا بأن النشاط الثقافي المستقل، يكاد ينعدم لانعدام المساعدة المالية من قبل السلطات العامة .

٥- **الدبلوماسية العربية، والإسلامية** : أما عن المبادلات الثقافية المنظمة رسميًا ، في إطار الدبلوماسية التقليدية، فإنها تتأثر بعلاقة القوى التي تسيطر على إرادة الدول، وتخضع للأهداف السياسية الدولية ، وفي هذا المجال تبدو هيمنة الغرب ظاهرة، فإنه الأقوى بإمكاناته، وأهدافه ،هذا بالإضافة إلى أن التمثيل الديني لا يمثل في سفارات العرب لدى دول العالم ، وذلك لمتابعة ما ينشر عن الإسلام ،ومتابعة الرؤية الثقافية العربية والإسلامية، وذلك بعدما كثرت الجمعيات الإسلامية المختلفة الاتجاه، وحاولت أن تخلع اختلافها عن الإسلام، وتربطه بأطماعها، وأهوائها.

يقول مارسيل بوازار : إن التحليل الموضوعي لصورة الإسلام في الكتب المدرسية الغربية، يبرز لوحة مظلمة بشكل عام، ويجب علينا أن نتساءل عن أسباب هذا الوضع ، أهي الأهلية النابعة من مؤلفي هذه الكتب، والذين لا يعرفون من التاريخ سوى الوجه الأوربي ؟ أم هي الكسل الفكري الذي يدفعهم إلى ترديد ما تعلموه، على الرغم من وجود مؤلفات متخصصة مأمونة الجانب.(١)

(١) تحليل بعض الصور عن الإسلام في ضوء مكونات الرأي العام الغربي ، محمد إبراهيم الفيومي، الاستشراق رسالة الاستعمار ، السابق ، ص، ٣٩٤

يقول مارسيل : نحن نفضل اعتقاد ذلك ، أي هو الكسل الفكري الذي وراء تلطخ اللوحة المظلمة عن الإسلام، ولكن غيره من النقاد، يرفضون مبدأ إثارة تلك التساؤلات، ويقولون إنها تثير الشك في مثل هذا النظام العالمي من التربية الذي يعطي التلميذ إمكانية فرز وقائع الحضارات من خلال التاريخ، فهم يرون، أي هؤلاء النقاد، أن الديانات، والثقافات غير الأصيلة، لم تقدما أي إنتاج ذاتي، حتى في عهد السمو، والعظمة، أي إبان القرون الوسطى، ومنها الإسلام، باتت تلك الديانات، وتلك الثقافات أنها غير قادرة على حل مشكلات المجتمع ، و بذلك يُعرض الإسلام بشكل عام، كدين لاحق، أو صورة محرفة للمسيحية، ونادرًا ما يُعرض كثقافة أعطت مساهمة فذة لمصير الأمم، بقيت حتى الآن سندًا جوهريًا، وحياتيًا لعدة مئات من ملايين البشر .

ووفق هذا النظام التربوي المغلوط ،ووفق أحداث التاريخ المغلوط، أصبح تقديم أية ديانة غير مجد لعدة أسباب، منها :

–النظرة المبتورة للتاريخ الإسلامي، والتفسيرات المشوهة لأحداثه .

–العبارات التي تتناوله غير مهذبة ، بل ومجافية لكل ما عرف من قواميس الأدب، والأخلاق .

–الالتباس الناجم عن مفهوم الديانة وفقًا للثقافات، والعصور ، فهي في العرف الغربي بمعنى واحد، وهو المعنى الكنسي في القرون الوسطى .

–التحقير من شأن الدور الذي قامت به المعتقدات الدينية بمعناها الواسع في تاريخ بني البشر منذ العهود القديمة [١].

**المنهج في نقد الفكر الاستشراقي في دراسته للعالم الاسلامي**

إن الانسان الذي يتابع النشاط الاستشراقي قد يلحظ بوضوح أن هذا النشاط يمثل قمة التحدي للفكر الإسلامي ،فالتيارات الفكرية الأجنبية القديمة ، كانت تمثل تحدياً للفكر الإسلامي الأصيل في عصور الإسلام الزاهرة ، كانت حافزاً للمسلمين في تلك الأيام الخوالي للوقوف أمامها بقوة، وصلابة[٢] . وقد

(١) نفس المرجع ، و محمد إبراهيم الفيومي ، الاستشراق رسالة الاستعمار ، السابق ، ص١٩٥-١٩٦

(٢) محمود حمدي زقزوق ، الاسشتشراق والخلفية الفكرية ، السابق ، ص١٢٣.

رأى الإمام الغزالي في عصره أن التيارات الفلسفية يتردد صداها في الأرجاء، وأنها تصول، وتجول في تحد سافر للفكر الإسلامي، والمسلمين، فلم يقف الغزالي موقف المتفرج ، ولم يسب، ولم يشتم ، ولم يرغب أن يترك الأمر، ويقول لا شأن لي به ،ولكنه أعد العدة، واتخذ الأدوات من العلم، والمعرفة بما عند هؤلاء، وقد رأى أن يتقن الفلسفة، وينفرغ لقضاياها، ويتعرف على مقاصد الفلاسفة، واستطاع في دقة، وإتقان أن يخرج كتابه " مقاصد الفلاسفة "، وكان ما قام به هو الخطوة الأولى في منهج المواجهة للفكر الفلسفي ، ثم جاءت الخطوة الثانية بعد ذلك بالكشف عما في مقاصد الفلاسفة من تناقض للفكر ، ومخالفة للمنطق، والعقل ، فكان كتاب (تهافت الفلاسفة ) يمثل قمة المواجهة[١]، وإذا كان الغزالي ، قد استطاع أن يواجه الفكر الفلسفي في عصره ، فإن الامر بالنسبة للاستشراق يحتاج إلى جهود أفراد، ومؤسسات ،فمكتبات العالم مليئة بإنتاج المستشرقين، وبشتى اللغات الإنسانية ، وهناك عشرات المجلات ، ومئات المؤسسات التي ترعى الاستشراق ، وتعمل لخدمة المستشرقين، وهناك أيضًا آلاف العلماء، والباحثين ، من المستشرقين الذين يتفرغون لبحوثهم، ودراساتهم، وهناك المؤتمرات الاستشراقية العالمية التي تعقد حسب الحاجة في العواصم العالمية ، فمواجهة التحديات الاستشراقية ضرورة لا بد منها[٢].

(١) أحمد عبد الرحيم السايح ، الاستشراق ومنهج نقده، ص٤٥٣.

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

# الخاتمة

**وقد توصلت من خلال عرض محتوى البحث إلى أهم النتائج ،وهي وفق الآتي :**

١- أن المدرسة الاستشراقية تقوم على أساس الدراسات الإسلامية، وخاصة العلوم الدينية، كالقرآن، والسنة، وعلوم الفقه .

٢- أن الدراسات الاستشراقية تركز في دراسة العلوم الإسلامية على أساس النزعة المركزية الغربية.

٣- أن الاستشراق الغربي قام باستخدام أساليب التشويه، والطعن في العلوم الإسلامية لأجل تحقيق نظرية المركزية الغربية .

٤- أن الدراسات الاستشراقية تقوم على أساس المركزية الغربية، والتي تعني رد جميع العلوم، والمعارف إلى الغرب، فهو المركز، والقطب .

٥- أن من مجالات تطبيق المركزية الغربية في القرآن الكريم تتمثل في قيام المستشرقين بادعاء أن القرآن نص مقتبس من التوراة، أو الإنجيل، أو المجوسية، لأجل نزع الأصالة منه ، واعتباره كتاباً لم يأتِ بجديد، بل هو خليط مشوه من الكتابات السابقة .

٦- أن من مجالات تطبيق المركزية الغربية في السنة النبوية ، استخدام المنهج النفسي في تفسير عملية الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ، وتفسير الوحي بأنه عباره عن عملية اختلقها النبي من خلال التخيل الخلاق الصادر من نفسه، وليس من الله .

٧- أن من مجالات تطبيق المركزية الغربية في التاريخ الإسلامي ، استخدام المستشرقين لأسلوب التشويه للتاريخ ،وادعاء أن الإسلام انتشر بالسيف، والحديد، والنار، والتركيز على أسباب الخلاف، والشقاق .

٨- أن من أبرز النتائج السلبية التي نشأت جراء استخدام المستشرقين لأساليب التشويه، والطعن، هو تعميق الخلاف بين الشرق، والغرب ،

ونشر تاريخ مشوه عن الإسلام باستخدام اساليب ملتوية؛ لأجل إظهار الحيادية، والموضوعية ، لأجل إكساب كتاباتهم القبول، والتأييد .

٩- أن تأثر بعض المفكرين العرب والمسلمين بكتابات المستشرقين، يعطي تلك الكتابات شيئًا من القبول ، باعتبار أن التأييد ناشئ من قبل المسلمين أنفسهم ، فكأنه مقرون بهذه التشويهات المتعمدة .

١٠- أن الدراسات الاستشراقية لم تستطع التخلص من بقايا الفكر الكنسي عن الإسلام ، حتى مع ظهور بوادر التطوير في هذه الدراسات، إلا أن شيئاً من الأفكار الكنسية في العصور الوسطى عن الإسلام، لا تزال تظهر بين وقت وآخر في الكتابات الاستشراقية ، مما يدل على تأثير هذه الكتابات الاستشراقية على العقل اللاوعي الغربي.

# قائمة المصادر والمراجع

**(القرآن الكريم )**
**(السنة النبوية )**

١- إبراهيم عمر السكران ، التأويل الحداثي للتراث التقنيات والاستمدادات ، دار الحضارة ، ط١ ، ٢٠١٤م .
٢- ابن هشام ، السيرة النبوية ، علق عليها عبد السلام تدمري ،دار الكتاب العربي ،١٩٩٠م ، ط٣، ج٤.
٣- أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، ج١، ١٩٩٧م .
٤- أحمد صلاح الجهني ، القرآن الكريم وعلومه في الموسوعات اليهودية ، مركز تفسير الدراسات القرآنية ، ط١، ٢٠١٥م ، الرياض، ص٧١
٥- أحمد عبد الرحيم السايح ، الاستشراق ومنهج نقده
٦- أنور الجندي ، ترشيد الفكر الإسلامي ، دارالاعتصام ، النادي الشبابي، الرسائل الجامعية
٧- جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ن ج٥ ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٩٧م .
٨- محمد إبراهيم الفيومي ، الاستشراق رسالة الاستعمار تطور الصراع الغربي مع الإسلام ، دار الفكر الغربي، القاهرة ، ١٩٩٣م
٩- رودي بارت ، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية المستشرقون الألمان منذ تيودر نولدكه ، ترجمة مصطفى ماهر ، ٢٠١١م .
١٠- السيد محمد الشاهد ، الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين ، مجلة الاجتهاد ، عدد ٢٢ .
١١- طه حسين ، مستقبل الثقافة في مصر ، دار هنداوي ، ٢٠١٤م ، ج٩ .

١٢- عادل حمدي عباس ، الآخر في الفكر الغربي مركزية الذات، وتنامي مفهوم الاستعلاء، وانحدار الغيرية، جامعة الأزهر ، مقال علمي محكم ، نشر في مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ، العدد الأربعون.
١٣- عبد الحسين مهدي عواد ، فقه اللغة العربية فصول في نشأته ومباحث في تأصيلات معارفه ،مؤسسة العارف للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠٠٨م ، ط١.
١٤- عبد العظيم محمود الديب ، المنهج في كتابات الغربيين عن الإسلام ، النادي الشبابي ، قطر ، ط١
١٥- عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه، ومفهومه، مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان، ط٣، ١٩٧٥م .١٠
١٦- عبدالله إبراهيم ، المركزية الغربية إشكالية التكون، والتمركز حول الذات ، المركز الثقافي العربي ، ط١، ١٩٩٧م .
١٧- عبدالله محمد الأمين النعيم ، الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء وات –بروكلمان–فلهاوزن مقارنة بالرؤية الإسلامية ، المعهد العالي للفكر الإسلامي ، ١٩٩٧م .
١٨- علي بن إبراهيم النملة ، مراجعات في نقد الفكر الاستشراقي حول الإسلام القرآن والرسالة ، دار بيسان ، الرياض ، ط٢، ٢٠١٤م .
١٩- عمر بن إبراهيم رضوان ، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم، وتفسيره، دراسة، ونقد ، دار طيبة ، الرياض ، ١٩٩٢م ، ط١ ، ج١.
٢٠- مانع بن حماد الجهني ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ط٤، ١٤٢٠هـ- ، ج٢ ،
٢١- محمد أركون ، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق :هاشم صالح ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، ١٩٨٩م .
٢٢- محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، هنداوي ، ط٢ .
٢٣- محمد عابد الجابري ، نحن والتراث ، المركز الثقافي العربي ، ط٦ ، ١٩٩٣م .

٢٤- محمد عابد الجابري ،تكوين العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية، جماعة الدراسات العربية، والتاريخ، والمجتمع .
٢٥- محمد عمارة ، الغارة الجديدة على الإسلام ، نهضة مصر، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٧م .
٢٦- محمود حمدي زقزوق ، الاستشراق، والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
٢٧- ميشال دوفيز ، أوربا والعالم في نهاية القرن الثامن عشر، ترجمة إلياس ملرقص ، بيروت ، دار الحقيقة ، ١٩٨٠م ، ج١ .
٢٨- نجيب العقيقي، المستشرقون موسوعة في تراث العرب، مع تراجم المستشرقين، ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ج.٢
٢٨-הקוראן-http://he.wikipedia.org/wiki
29-neelwafurat.com
30- ektab.com
31-estshrac.blogspot.com

## References :

(**alquran alkarim** )

(**alsunat alnabawia** )

1- 'iibrahim eumar alsukran , altaawil alhadathiu lilturath altiqniaat waliastimdadat , dar alhadarat , ta1 , 2014m .

2- abin hisham , alsiyrat alnabawiat , ealaq ealayha eabd alsalam tadmuri ,dar alkitaab alearabii ,1990m , ta3, ji4.

3- 'ahmad 'amin , dahaa al'iislam , alhayyat almisriat aleamat lilkitab , maktabat al'usrat , ja1, 1997m .

4- 'ahmad salah aljihni , alquran alkarim waeulumuh fi almawsueat alyahudiat , markaz tafsir aldirasat alquraniat , ta1, 2015m , alrayad, sa71

5- 'ahmad eabd alrahim alsaayih , aliastishraq wamanhaj naqdah

6- 'anwar aljundiu , tarshid alfikr al'iislamii , daralaietisam , alnaadi alshababi, alrasayil aljamieia

7- jaraji zidan , tarikh altamadun al'iislamii n ji5 , bayrut , dar maktabat alhayat , 1997m .

8- muhamad 'iibrahim alfayuwmi , aliastishraq risalat aliastiemar tatawur alsirae algharbii mae al'iislam , dar alfikr algharbi, alqahirat , 1993m

9- rudi bart , aldirasat alearabiat wal'iislamiat fi aljamieat al'almaniat almustashriqun al'alman mundh tyudar nualidkah , tarjamat mustafaa mahir , 2011m .

10- alsayid muhamad alshaahid , aliastishraq wamanhajiat alnaqd eind almuslimin almueasirin , majalat aliaijtihad , eadad 22 .

11- tah husayn , mustaqbal althaqafat fi misr , dar hindawi , 2014m , ji9 .

12- eadil hamdi eabaas , alakhr fi alfikr algharbii markaziat aldhaati, watanami mafhum aliaistiela'i, wanhidar alghayriati, jamieat al'azhar , maqal eilmiun muhkam , nushir fi majalat kuliyat 'usul aldiyn waldaewat bialmunufiat , aleadad al'arbaewn.

13- eabd alhusayn mahdi eawaad , fiqh allughat alearabiat fusul fi nash'atih wamabahith fi tasilat maearifih ,muasasat alearif lilmatbueat , bayrut , 2008m , ta1.

14- eabd aleazim mahmud aldiyb , almanhaj fi kitabat algharbiiyn ean al'iislam , alnaadi alshababiu , qatar , ta1

15- eabd alkarim alkhatibi, alqasas alquraaniu fi mantuqihi, wamafhumihi, mae dirasat tatbiqiat liqisatay adm wayusuf , dar almaerifat , bayrut , lubnan, ta3, 1975m .10

16- eabdallah 'iibrahim , almarkaziat algharbiat 'iishkaliat altakawun, waltamarkuz hawl aldhaat , almarkaz althaqafiu alearabia , ta1, 1997m .

17- eabdallah muhamad al'amin alnaeim , alaistishraq fi alsiyrat alnabawiat dirasat tarikhiatan lara' wat – brukulman–filhawzin muqaranatan bialruwyat al'iislamiat , almaehad aleali lilfikr al'iislamii , 1997m .

18- eali bin 'iibrahim alnamlat , murajaeat fi naqd alfikr aliastishraqii hawl al'iislam alquran walrisalat , dar bisan , alriyad , ta2, 2014m .

19- eumar bin 'iibrahim ridwan , ara' almustashriqin hawl alquran alkarimi, watafsiriha, dirasatu, wanaqd , dar tibat , alriyad , 1992m , ta1 , ji1.

20- manie bin hamaad aljihniu , almawsueat almuyasarat fi al'adyan walmadhahib almueasirat , alnadwat alealamiat lilshabab al'iislamii , ta4, 1420hi- , ji2 ,

21- muhamad 'arkun , alfikr al'iislamiu naqd wajtihadi, tarjamat wataeliq :hashim salih ,almuasasat alwataniat lilkitab , 1989m .

22- muhamad husayn hikal , hayat muhamad , hindawiun , ta2 .

23- muhamad eabid aljabirii , nahn walturath , almarkaz althaqafiu alearabiu , ta6 , 1993m .

24- muhamad eabid aljabiri ,takwin aleaql alearabii , markaz dirasat alwahdat alearabiati, jamaeat aldirasat alearabiati, waltaarikhi, walmujtamae .

25- muhamad eimarat , algharat aljadidat ealaa al'iislam , nahdat masiri, alqahirat , ta1 , 2007m .

26- mahmud hamdi zaqzuq , aliastishraqi, walkhalfiat alfikriat lilsirae alhadarii , dar almanar liltibaeat walnashr waltawzie, alqahirati.

27- mishal dufiz , 'uwrba walealam fi nihayat alqarn althaamin eashr, tarjamat 'iilyas milraqs , bayrut , dar alhaqiqat , 1980m , ji1 .

28- najib aleaqiqi, almustashriqun mawsueat fi turath alearabu, mae tarajim almustashriqina, wadirasatihim eanh mundh 'alf eam hataa alyawm , dar almaearif , alqahirat , 1964m , ji2.

28-hqwr'n-http://he.wikipedia.org/wiki

neelwafurat.com-29

ektab.com -30

31- estshrac.blogspot.com